فصل فى حسن الملكة وسوء الملكة

فى « الصحيحين » أو فى « الصحيح »[1]عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يدخلُ الجنةَ سيئ المَلَكَةِ » وهو الذى يسىء إلى مماليكه . وكان يُقال : التسلطُ على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذكُرْ عند قدرتكَ وغضبك قُدْرَةَ اللّه عليك ، وعنَد حُكْمِكَ حُكْمَ اللّه فيك .

وقال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : أكثروا شراءَ الرقيق ؛ فَرُبَّ عبدٍ يكون أكثرَ مالاً مِن سيده .

وقال بعضُ الحكماء : أفضلُ المماليك الصغارُ ، لأنهم أحسنُ طاعةً ، وأقلُّ خلافاً ، وأسرع قبولاً . كان يقال : استخدم الصغير حتى يكْبَرَ ، والأعجمىَّ حتى يُفصح ؛ قالت ابنة الفتح :

بطِرْتُمْ فَطِرْتُمْ والعصا زَجْرُ مَنْ عصى وتقويم عبدِ الهُون بالهُونِ رادعُ

كان يقال : الحر حُرٌّ وإنْ مَسَّهُ الضُّرُّ ، والعبد عبد وإنْ مشى على الدُّرِّ .

وقال الشاعر :

إن العبيد إذا ذلَّلتهم صَلَحوا على الهوان وإن أكرمتهم فَسَدوا

وقال المتنبى[2] :

لا تشتر العبدَ إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

وقال آخر :

إذا أبرم المولى بخدمة عبده تجنَّى له ذنباً وإن لم يكن ذنب

وعن على رضى اللّه عنه أنه قال : يارسول اللّه ، إذا بعثتنى أكونُ كالسِّكَّة المُحماة ، أم

---

(١) كذا بالمخطوطة ، وهو وهم من المصنف . وقد أخرجه الترمذى فى البر والصلة ، ب ما جاء فى الإحسان إلى الخدم (٩٤٦) ، وقال : « هذا حديث غريب » ، وابن ماجه فى الأدب ، ب الإحسان إلى المماليك (٣٦٩١) ،وقال فى الزوائد : « فى إسناده فرقد السبخى . وهو وإن وثقه ابن معين فى رواية ، فقد ضعفه فى أخرى، وضعفه البخارى وغيره » كلاهما عن أبى بكر الصديق ،ولم يعزه صاحب التحفة للصحيحين.

(٢) هو شاعر الزمان أبو الطيب أحمد بن حسين بن حسن الجعفى الكوفى الأديب ، الشهير بالمتنبى ، ولد سنة ثلاث وثلاثمائة ، بلغ الذروة فى النظم ، وسار ديوانه فى الآفاق ، ومدح سيف الدولة ، وكافور ، روى عنه على بن أيوب القمى ، وأبو عبد الله بن باكويه وغيرهما ، وقد نال بالشعر مالاً جليلاً ، مات فى رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة [سير أعلام النبلاء ١٦/١٩٩ ــ ٢٠١ ، تاريخ بغداد ٤/١٠٢ ــ ١٠٥، وفيات الأعيان ١/ ١٢٠ ــ ١٢٥] .

الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » رواه أحمد فى «المسند » [1].

فصل فى الإنفاق على الإخوان وسؤال بعضهم لبعض

قال ابن وهب [2] : أنفقَ ربيعةُ على إخوانه أربعينَ ألف دينار ، ثم كان بَعْدُ يسألُ إخوانَه فى إخوانه . وقال المروذى: قال ابن وهب : سمعتُ بشر بن الحارث [3] يقول : ولقد جاءنى صديق لى وعندى عشرون درهماً فأعطيتُه تسعةَ عشرَ درهماً وبقَّيْتُ لنفسى درهماً ، ففيهم اليوم مَنْ يفعل هذا بصاحبه ؟ .

وأبلغُ مِن هذا ما قال هارون المستملى [4] . لقيتُ أحمد فقلت : ما عندنا شىء ، فأعطانى خمسةَ دراهم ، وقال : ما عندنا غيرُها .

وقال يحيى بنُ هلال الورّاق : جئتُ إلى محمد بن عبد اللّه بن نمير [5] ، فشكوتُ إليه،

---

(١) أحمد ١/ ٨٣ .

(٢) هو العالم الحافظ البارع الرَّحَّال أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينورى ، حدث عن أبى سعيد الأشج ، ومحمد بن الوليد البسرى ، ويونس بن عبد الأعلى ، وحدث عنه الفريابى ، والنيسابورى وغيرهما ، مختلف فى توثيقه ،مات سنة ثمان وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠٠ــ ٤٠٢ ، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٩٤ ، ٤٩٥] .

(٣) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء الإمام العالم المحدث الزاهد الربانى القدوة شيخ الإسلام أبو نصر المروذى البغدادى المشهور بالحافى ، ولد سنة اثنتين وخمسين ومائة ، أخذ عن مالك ، وشريك ، وحماد ابن زيد وغيرهم ، حدث عنه أحمد الدورقى، وسرى السقطى، وخلق كثير، قلما روى فى المسندات،مات يوم الجمعة فى شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٩ ــ ٤٧٧ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٤ ــ ٢٧٧] .

(٤) هو الحافظ العالم الزاهد العابد المجاب الدعوة أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملى النيسابورى عرف بحمكويه ، سمع من أحمد بن حنبل ، وقتيبة بن سعيد وغيرهما ، وحدث عنه أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف ، وجعفر بن محمد بن سوَّار وغيرهما ، وثقه الجميع ، مات فى جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٧٣ ــ ٣٧٥ ، شذرات الذهب ٢/ ١٨٦] .

(٥) هو الحافظ الحجة شيخ الإسلام الهمدانى الخارقى مولاهم الكوفى ، ولد سنه نيف وستين ومائة ، فهو من أقران أحمد بن حنبل وعلى المدينى ، حدث عن أبيه عبد الله بن نمير ، والمطلب بن زياد ، وعبيد الطنافسى وغيرهم ،حدث عنه البخارى ،ومسلم ،وأبو داود ،وابن ماجه وغيرهم ،ثقة يحتج به ،مات فى شعبان أو رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٥٥ ــ ٤٥٨] .

فأخرج أربعةَ دراهم أو خمسة ، وقال : هذا نصفُ ما أملك . وجئتُ مرة إلى أبى عبد اللّه بن حنبل فأخرج إلىَّ أربعةَ دراهم وقال : هذا جميعُ ما أملك .

فصل فى الأدب والتواضع ومكارم الأخلاق وحظ الإمام أحمد منها

روى الخلال أن أحمد جاء إلى وكيع [1] وعنده جماعة من الكوفيين ــ فجلس بين يديه من أدبه وتواضعه ، فقيل : يا أبا عبد اللّه ، إن الشيخ ليكرمك فمالك لا تتكلم ؟ فقال : وإن كان يكرمنى ، فينبغى لى أن أُجِلَّهُ .

وقال أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم [2] . ما استأذنتُ قَطُّ على محدث ، كنت أنتظره حتى يخرج إلىَّ ، وتأولت قوله تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ**﴾ [الحجرات: ٥] .

وقال المَروذىُّ : كان أبو عبد اللّه لا يجهل ، وإنْ جُهِلَ عليه احتمل وحلم ويقول : يكفينى اللّه . ولم يكن بالحَقُود ولا العَجُول ، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعةٌ ، فكانوا يجيؤون إلى أبى عبد اللّه ، فلا يظهر لهم مَيْلُهُ مع عمه ، ولا يغضب لعمه ، ويلقاهم بما يعرفون منه من الكرامة . وكان أبو عبد اللّه كثيرَ التواضع يحبُّ الفقراءَ ، لم أرَ الفقيرَ فى مجلسِ أحد أعَزَّ منه فى مجلسه ، مائل إليهم ، مقصر عن أهل الدنيا ، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس فى مجلسه بعد العصر لم يتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج إلى مجلسه لم يتصدر ، يقعد حيث انتهى به المجلس ، وكان لا يَقْطُنُ [3] الأماكن ويكره إيطانها ، وكان إذا انتهى إلى مجلس قومٍ جلس حيث انتهى به المجلسُ . وصحبْتُهُ فى السفرِ والحضر ، وكان حَسَنَ الخلق ، دائم البِشْرِ ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ . وكان يحب فى اللّه ويبغض فى اللّه ، وكان إذا أحب رجلاً أحب له ما يحب لنفسه وكره له ما يكره لنفسه ، ولم يمنعه حبه له أن يأخذ

---

(١) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى بن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس، الإمام الحافظ محدث العراق الكوفى، ولد سنة تسع وعشرين ومائة ، قاله أحمد بن حنبل ، سمع من سليمان الأعمش، وابن عون ، وابن جريج وغيرهم ، حدث عنه سفيان الثورى ، وعبد الله بن المبارك والحميدى وغيرهم ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبى يقول : كان وكيع حافظا حافظاً ما رأيت مثله ، مات سنة سبع وتسعين ومائة. [سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٠ ــ ١٦٨، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٦ ــ ٥١٢].

(٢) هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، ولد سنة سبع وخمسين ومائة ، سمع من إسماعيل بن جعفر ، وشريك بن عبيد الله ، وسفيان بن عيينة ، حدث عنه نصر بن دواد ، ومحمد بن يحيى المروذى ، وغيرهما ، له تصانيف كثيرة ، كان من علماء اللغة المحدثين النحويين الكوفيين ، عالماً بالقراءات ، وثقه الأئمة ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة . [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠ ــ ٥٠٩] .

(٣) يقطن : أى لا يخصص لنفسه مكانا بالمجلس ، ونفس المعنى يتحقق لو قال : لا يوطّن .

على يديه ويكفّه عن ظلم أو إثم أو مكروه إن كان منه ، وكان إذا بَلَغَهُ عن رجلٍ صلاحٌ أو زهدٌ أو اتباعُ الأثرِ سأل عنه ، وأحَبّ أن يجرى بينه وبينه معرفة . وكان رجلاً وطيئاً ، إذا كان حديثٌ لا يرضاه اضطرب لذلك ، وتبين التغيُّر فى وجهه غضباً للّه ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، فإذا كان فى أمرٍ من الدين اشتدَّ غضبهُ له . وكان أبو عبد اللّه حَسَنَ الجوار ، يُؤْذَى فيصبر ، ويحتمل الأذى من الجيران .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن يونس(١) رأيت أحمد بن حنبل رضى اللّه عنه وقد صلى الغَدَاة فدخل منزله وقال : لا تتبعونى مرة أخرى . وكان يمشى وحدَه متواضعاً . وقال ابن هانى: رأيت أبا عبد اللّه إذا التقى امرأتين فى الطريق وكان طريقه بينهما وقف ولم يمر حتى تجوزان (٢).

وعن أسيد الأنصارى أنه سمعَ رسولَ اللّه ﷺ وهو خارجٌ من المسجد فاختلطَ الرجالُ مع النساء فى الطريق ، فقال رسولُ اللّه ﷺ للنساء : « استأخرنَ فإنه ليس لَكُنَّ أنْ تَحْقُقْنَ الطريق ، عليكنَّ بحافَات الطريق » فكانت المرأة تلصَق بالجدار حتى إنَّ ثوبها ليعلقُ بالجدار من لصوقها به (٣) . رواه أبو داود من رواية شداد بن أبى عمرو بن حمَاس ، تفرد عنه أبو اليمان الرحال المدنى ، وقد وثقه ابن حبان ، قال فى « النهاية » : هو أنَ يركبن حُقَّها وهو وسطها ، يقال : سقط على حاقِّ القفا وحُقه .

وعن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين (٤) . رواه أبو داود والخلال من رواية داود بن أبى صالح ، قال أبو زرعة : لا أعرفه إلا بهذا الخبر ، وهو منكر . وقال البخارى : لا يتابع عليه .

وقال إبراهيم الحربى : كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وُفِّقَ للأدب ، وسُدِّدَ بالحلم ، وملئ بالعلم ، أتاه رجل يوماً فقال : عندك كتاب زندقة ؟ فسكت ساعة ثم قال : إنما يحرزُ المؤمنَ قبرُه .

وقال الخلال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم يعنى المعروف بلؤلؤ قال: حضر مجلسَ أبى عبد اللّه كبشُ الزنادقة ، فقلت له : أىْ عَدُوَّ اللّه ، أنتَ فى مجلس أبى عبد اللّه ، ما تصنعُ ؟ فسمعنى

---

(١) هو الإمام المحدث الثقة المعمر ، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادى الوراق ، عرف بالمنجنيقى ، ولد سنة عشرين ومائتين ، حدث عن أحمد بن منيع ، وعبد الله بن مطيع وخلق كثير ، وحدث عنه النسائى ، وجعفر الخلدى ، والطبرانى ، وابن عدى وغيرهم ، قال النسائى . صدوق ، وقال الدارقطنى: ثقة ، مات سنة أربع وثلاثمائة فى جمادى الآخرة. [سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٤١، ١٤٢].

(٢) فى أ، ر ، ط « تجوزا » وكلاهما صحيح .

(٣) أبو داود فى الأدب ، ب فى مشى النساء مع الرجال فى الطريق (٥٢٧٢) .

(٤) أبو داود فى الأدب ، ب فى مشى النساء مع الرجال فى الطريق (٥٢٧٣) .

أحمد ، فقال : مالَكَ ؟ فقلتُ : هذا عدو اللّه كبش الزنادقة قد حضر المجلس ، فقال: مَنْ أمركم بهذا ؟ عَمَّنْ أخذتم هذا ؟ دعوا الناس يأخذون العلم وينصرفون لعل اللّه ينفعهم به . ذكره ابنُ الأخضر فى ترجمته ، وقد تقدم ذكره .

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد اللّه بن يزيد المنادى : سمعت جدى يقول : كان أبو عبد اللّه منْ أحيا الناس ، وأكرمهم نفساً ، وأحسنهم عشرةً وأدباً ، كثير الإطراق والغَضِّ ، مُعْرِضاً عن القبيح واللَّغو ، لا يُسْمَعُ منه إلا المذاكرةُ بالحديث والرجال والطرق وذكر الصالحين والزهاد ، فى وقار وسكون ولفظ حسن ، وإذا لقيه إنسانٌ بَشَّ به وأقبل عليه ، وكان يتواضع تواضعاً شديداً ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ويحبونه .

وقال الطبرانى : كنا فى مجلس [أبى على] (١) بشر بن موسى (٢) ــ يعنى ابن صالح ابن شيخ بن عميرة الأسدى ــ ومعنا أبو العباس بن سريج (٣) الفقيه القاضى ، فخاضوا فى ذكر محمد بن جرير الطبرى ، وأنه لم يُدْخِلْ ذِكْرَ أحمد بن حنبل فى كتابه الذى ألفه فى اختلاف الفقهاء ، فقال أبو العباس بن سريج : وهل أصول الفقه إلا ما كان يحسنه أحمد بن حنبل ؟ حَفِظَ آثارَ رسول اللّه ﷺ ، والمعرفة بسنته ، واختلاف الصحابة والتابعين رضى اللّه عنهم .

وقال الحسن بن أحمد بن الليث الرازى : كنتُ فى مجلس أبى عبد اللّه أحمد بن حنبل ، فقام إليه رجل من أهل الرَّى يقال له بشر ، فقال : يا أبا عبد اللّه ، عندنا شاب بالرَّىِّ يقال له: أبو زُرْعة نكتب عنه ؟ فنظر أحمد إليه كالمُنْكِرِ لقوله : شاب ، فقال: نِعْمَ الثقة المأمون أعلى اللّه كَعْبَهُ ، نَصَرَهُ اللّه على أعدائه . فلما قدمتُ الرَّىَّ أخبرتُ أبا زُرْعة فاستعبر وقال : واللّه إنى لأكون فى الأمرِ العظيم من أذى الجهمية ، فأتوقَّعُ الفرجَ بدعاءِ أبى عبد اللّه .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة ، والمثبت من ر ، وقد ورد فى ط ، أ: « كنا فى مجلس أبى موسى» وهو وَهْم .

(٢) هو بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الإمام الثقة المعمر أبو على الأسدى البغدادى ، ولد سنة تسعين ومائة ، سمع من الأصمعى ، وسعيد بن منصور ، والحميدى وغيرهم ، وحدث عنه أبو القاسم الطبرانى وأبو بكر الشافعى وخلائق ، كان ثقة أميناً ، مات سنة ثمان وثمانين ومائتين فى آخر ربيع الأول. [سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٥٢ ــ ٣٥٤] .

(٣) هو الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقيين ، أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادى القاضى الشافعى صاحب المصنفات ، ولد سنة بضع وأربعين ومائتين ، سمع من أبى داود السجستانى ، وحمدان بن على الوراق وغيرهما ، وحدث عنه أبو القاسم الطبرانى ، وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه وغيرهما ، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين ببغداد . [سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٠١ ــ ٢٠٤ ، وفيات الأعيان ١ / ٦٦ ، ٦٧] .

وقال المروذى سمعت أبا عبد اللّه يقول : جاءنى أبو على بن يحيى بن خاقان ، فقال لى: إن كتاباً جاء فيه : إن أمير المؤمنين ــ يعنى المتوكل ــ يقرئك السلام ، ويقول لك : لو سَلِمَ أحدٌ من الناس لسلمتَ أنتَ ، ها هنا رجل قد رفع عليك ، وهو فى أيدينا محبوس رفع عليك أنَّ علوياً قد توجَّه من أرضِ خراسان، وقد بعثت برجل من أصحابك يتلقاه: فإنْ شئتَ ضربته، وإنْ شئت حبسته ، وإنْ شئتَ بعثته إليك . قال أبو عبد اللّه : فقلت له : ما أعرفُ مما قال شيئاً ، وأرى أنْ تُطلقوه ولا تَعَرَّضُوا له .

وقال لما سير عامر بن عبد قيس إلى الشام : اجتمعوا عليه وحوله بالمربد ، فقال : إنى داع فأمنوا، ثم قال : اللهم مَنْ سعى لى فأكثرْ ماله وولده، وأطل عمره، واجعله موطَأَ العقبين.

وقال المروذى : أخبرتُ أبا عبد اللّه عن رجلٍ سفيهٍ يتكلم ويؤذى ؟ قال : لا تعرَّضوا له، إنه مَنْ لم يقرَّ بقليلِ ما يأتى به السفيه أقر بالكثير .

وروى الخلال عن أبى جعفر الخطمى[1] ، عن جده عمرو بن حبيب ــ وكانت له صحبةٌ ــ أنه أوصى بنيه فقال : إياكم ومجالسةَ السُّفهاء ، فإنَّ مجالستهم داء ، وإنه مَنْ لم يقر بقليل ما يأتى به السفيهُ يقر بالكثير . قال ابنُ الجوزى : قالت الحكماء : السَّفَهُ نباح الإنسان ، وقال الشاعر :

ومَنْ يَعضُّ الكلبَ إنْ عَضَّا

وأنت ترى السَّبُعَ إذا مَرَّ به السباعُ فى السوق كيف تنبحه الكلابُ وتقربُ منه ، ولا يلتفتُ ولا يَعُدُّها شيئاً ؛ إذ لو التفت كان نظيراً ، ومتى أمسك عن الجاهل عاد ما عنده من العقل موبخاً له على قُبْحِ ما أتى به ، وأقبل عليه الخَلْقُ لائمين له على سوءِ أدبه فى حَق مَنْ لا يجيبه، وقد قال الشاعر :

وأغيظُ مَنْ ناداك مَنْ لا تُجيبه

وما نَدِمَ حليمٌ ولا ساكت ، وإنما يندم المقدم على المقابلة والناطق ، فإن شئتَ فاحتسبْ سكوتكَ عن السفيه أجراً لك ، وإن شئت فاعْدُدْهُ احترازاً مِنْ أنْ تقع فى إثم ، وإن شئت كان احتقاراً له ، وإن شئت كان سكوتك سبباً لمعاونة الناسِ لك ، وإنْ تلمحت القدرَ علمت أنه ما يُسَلَّطُ إلاَّ مُسَلَّطٌ ؛ فرأيت الفعل من غيره ، إما عقوبةً وإما مثوبةً .

---

(١) هو الإمام الحافظ الثقة القاضى ، أبو موسى إسحاق بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمى الأنصارى المدنى الفقيه ، قاضى نيسابور ، سمع من سفيان بن عيينة ، وعبد السلام بن حرب وجماعة ، حدث عنه مسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه وآخرون ، ثقة ، وأطنب أبو حاتم فى الثناء عليه ، مات سنة أربع وأربعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١١ / ٥٥٤ ، ٥٥٥] .

وروى أبو داود : حدثنا عيسى بن حماد ، أخبرنا الليث ، عن سعيد المَقْبُرِىِّ ، عن بشير ابن المُحَرَّر ، عن سعيد بن المسيب أنه قال :بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل فى أبى بكر فآذاه ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر ، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر ، فقال أبو بكر : أوَجَدْتَ علىَّ يا رسولَ الله ؟ فقال النبى ﷺ :« نزل مَلَكٌ من السماء يكذبه بما قال [لك](١) ، فلما انتصرتَ وقع الشيطان ، فلم أكن لأجلس إذا وقع الشيطان »(٢) .

حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا سفيان ، عن ابن عجلان ، عن سعيد بن أبى سعيد، عن أبى هريرة أن رجلاً كان يسب أبا بكر وساق نحوه(٣) .

قال أبو داود : وكذلك رواه صفوان بن عيسى عن ابن عجلان كما قال سفيان إسناد جيد، والذى قبله من مراسيل سعيد بن المسيب . وبشير تفرد عنه المقبرى .

ثم روى أبو داود فى هذا الباب وهو (باب الانتصار) ، عن عُبيد الله بن معاذ والقواريرِىِّ ، عن معاذ بن معاذ ، حدثنا ابن عون قال : كنت أسأل عن الانتصار : ﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ** ﴾ [الشورى : ٤١] . فحدثنى على بن زيد بن جدعان ، عن أم محمد امرأة أبيه ــ قال ابن عون : وزعموا أنها كانت تدخلُ على أم المؤمنين ــ قالت : قالت أم المؤمنين : دخل علىَّ رسولُ الله ﷺ ــ وعندنا زينبُ بنتُ جحش ــ فجعل يصنع شيئًا بيده حتى فطَّنته لها ، فأمسك فأقبلت زينب تَقَحَّمُ لعائشة ، فأبت أن تنتهى ، فقال لعائشة : «سبِّيها » فسبتها فغلبتها ، فانطلقت زينبُ إلى علىٍّ فقالت : إن عائشة وقعت بكم ، وفعلت ، فجاءت فاطمة ، فقال لها : « إنها حِبَّةُ أبيك ورَبِّ الكعبة » فانصرفت ، فقالت لهم: إنى قلت له : كذا وكذا ، فقال لى : كذا وكذا . قالت : وجاء علىٌّ إلى النبى ﷺ فكلمه فى ذلك(٤) . أم محمد تفرد عنها على بن زيد وعلى حديثه حسن(٥).

ولأبى داود بإسناد حسن من حديث جابر بن سليم: « وإن امرؤٌ شتمكَ أو عيَّرك بما يعلم فيك فلا تعيّره بما تعلم فيه ، يكن وبال ذلك عليه »(٦) ولأحمد هذا المعنى وفيه : « فيكون أجره لك ووزره عليه »(٧) .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوطة ، وما أثبتناه من سنن أبى داود .
(٢) أبو داود فى الأدب ، ب فى الانتصار (٤٨٩٦) .
(٣) أبو داود فى الأدب ، ب فى الانتصار (٤٨٩٧) .
(٤) أبو داود فى الأدب ، ب فى الانتصار (٤٨٩٨) .
(٥) على بن زيد ضعفه غير واحد .
(٦) أبو داود فى اللباس ، ب ما جاء فى إسبال الإزار (٤٠٨٤) .
(٧) أحمد ٥ / ٦٣ .

وروى أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبى خالد الوالبى ، عن النعمان بن مقرن المزنى قال : قال رسول الله ﷺ ، وسَبَّ رجلٌ رجلاً عنده فجعل الرجلُ المسبوبُ يقول : عليكَ السلامُ ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنَّ مَلَكاً بينكما يَذُبُّ عنكَ ، كلما شتمك هذا ، قال له : بل أنتَ ، وأنتَ أحَقُّ به ، وإذا قلت له : عليك السلام قال : لا بل أنتَ أحق به »[1] وكلهم ثقات ، وأبو بكر هو ابن عياش ، والظاهر أن أبا خالد لم يدرك النعمان .

وروى أبو حفص العُكْبَرِىُّ[2] فى « الأدب» له : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، مَنْ يَتَحَرَّ الخَيرَ يُعْطَهُ ، ومن يتق الشر يُوقَهُ . وروى أيضًا عن عبد الملك بن أبجر قال : انتهى الشعبى إلى رجلين وهما يغتابانه ويقعان فيه ، فقال :

هنيئًا مريئًا غَيْرَ داءٍ مُخَامِرٍ لعَزَّةَ مِنْ أعراضنا ما اسْتَحَلَّتِ

وروى أيضا عن عمر رضى الله عنه قال : لا حلمَ أحبُّ إلى الله من حلم إمام ورِفْقه ، ولا جهلَ أبغض إلى الله من جهلِ إمامٍ وحزنه [3]، ومن يُنْصِف الناسَ من نفسه يُعْطَ الظفرَ من أمره ، والذل فى الطاعة أقرب إلى المؤمن من التقرب فى المعصية .

وروى أيضًا عن ابن عباس قال: ما بلغنى من أحدٍ مكروهٌ إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقى عرفتُ له قدره، وإن كان نظيرى تفضلتُ عليه ، وإن كان دونى لم أحفل به ، هذه سيرتى فى نفسى فَمَنْ رغب عنها فأرضُ الله واسعة . قال ابن عقيل فى « الفنون » وذكر قول المجنون :

حلالٌ لِلَيْلَى شَتْمُنا وانتقاصُنا هنيئًا ومغفورا لليلى ذنوبُها

قال ابن عبد البر : وكان يقال : الغالبُ فى الشر مغلوبٌ . شتم رجل أبا ذر فقال له : يا هذا ، لا تَغرقن فى شتمنا ، ودع للصلح موضعاً ، فإنا لا نكافئُ منْ عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه . أعطى الحَسنُ بن على رضى الله عنهما شاعراً فقيل له : لِمَ تعطى مَنْ يقولُ البهتان ، ويعصى الرحمن ؟ فقال : إنَّ خيرَ ما بذلتَ به من مالكَ ما وقيتَ به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر .

---

(١) أحمد ٥ / ٤٤٥ .

(٢) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ، العكبرى البزاز أحد المسندين ، سمع أبا جعفر بن يحيى الطائى وأبا بكر النقاش ، وغيرهما ، روى عنه أبو بكر الخطيب ، ومضر بن البطر وجماعة ، توفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٦٠ ، ٣٦١ ، تاريخ بغداد ١١ / ٢٧٣] .

(٣) الحَزَن : ما غلظ من الأرض ، والمقصود به هنا قسوة الإمام على رعيته ، وقد أوردته المطبوعات كلها «وحدته » ، ولعله تصحيف .

قال الشاعر :

وما يقى عنك قوماً أنت خائفهم ... كمثل دفعك جهالاً بجهالِ

فاقعَسْ إذا حدبوا، واحدَبْ إذا قعسُوا ... ووزانِ الشَّرَّ مثقالاً بمثقالِ

القعس: خروج الصدر ودخول الظهر وهو ضد الحدب ، يقال : رجل قعس وقعيس ومتقاعس . وقال آخر :

لعَمْرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عَدُوُّهُ ... ولكنما سَبَّ الأميرَ المُبَلِّغُ

وقال آخر :

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا ... هنيئا ومغفوراً لليلى ذنوبها

ويأتى ما يتعلق بهذا بالقرب من نصف الكتاب فيما يتعلق بمكارم الأخلاق قبل ذكر الزهد.

وقال ابن هُبَيْرة الحنبلى[1] الوزير : ليكن غايةَ أملك من عدوك الإنصافُ ، فمتى طلبته منه ، كان سائرُ الخَلْقِ عوناً لك ، فأما أخوك وصديقك فعاملهما بالفضل والمسامحة لا بالعدل.

وقال أبو عبيد القاسم بن سَلام فى الإمام أحمد فى أثناء كلام له : فبارك الله فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم ، وإنه لكما قال مُطِريه :

يزينُك إمَّا غابَ عنك ، فإنْ دَنَا ... رأيتَ له وجهاً يَسُرُّكَ مُقْبِلا

يُعَلِّمُ هذا الخَلْقَ ما شَذَّ عنهمُ ... من الأدبِ المجهولِ كهفاً ومعقلا

ويَجْسُرُ فى ذات الإله إذا رأى ... مُضِيماً لأهل الحق لا يسأمُ البلا

وإخوانه الأدْنَوْنَ كلٌّ موفقٍ ... بصيرٌ بأمر الله يسمو إلى العُلا

وقال الخلال : حدثنا المروذى قال: قال لى أحمد : ما كتبت حديثاً عن النبى ﷺ إلا وقد عَملتُ به ، حتى مَرَّ بى فى الحديث أن النبى ﷺ احتجمَ وأعطى أبا طيبةَ ديناراً ، فأعطيتُ الحَجَّام ديناراً حين احتجمت .

وقال الحسين بن إسماعيل : سمعت أبى يقول : كان يجتمع فى مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف ، أو يزيدون ، أقلَّ من خمسمائة يكتبون ، والباقى يتعلمون منه حُسْنَ الأدب وحسن السمت .

---

(١) هو الوزير الكامل الإمام العالم العادل عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن ابن الجهم الشيبانى الدورى العراقى الحنبلى ، صاحب التصانيف ، ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، سمع أبا عثمان بن ملة ، وهبة الله بن الحصين وغيرهما ، توفى سنة ستين وخمسمائة . [سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٢٦ ــ ٤٣٢ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٣٠ ــ ٢٤٤] .

وقال محمد بن مسلم : كنا نهابُ أنْ نرادَّ أحمد بن حنبل فى الشىء أو نُحاجَّه فى شىءٍ من الأشياء ؛ يعنى لجلالته ولهيبةِ الإسلامِ الذى رُزِقَهُ .

وقال الميمونى[1] : ما رأيت أحداً أنظفَ ثوباً ولا أشدَّ تعاهداً لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً وأشدَّ بياضاً من أحمد بن حنبل . وقالت فاطمة بنت أحمد بن حنبل : وقع الحريق فى بيت أخى صالح ، وكان قد تزوج إلى قوم مياسير فحملوا إليه جهازاً شبيهاً بأربعة آلاف دينار فأكلته النار ، فجعل صالح يقول : ما غَمَّنى ما ذهبَ منى إلا ثوبَ أبى كان يصلى فيه ؛ أتبركُ به وأصلى فيه . قالت : فطفئَ الحريقُ ودخلوا فوجدوا الثوبَ على سرير قد أكلت النار ما حوله والثوبُ سالم .

قال ابن الجوزى : وهكذا بلغنى عن قاضى القضاة على بن الحسين الزينبى[2] : أنه حكى أن الحريق وقع فى دارهم فاحترق ما فيها إلا كتاباً كان فيه شىء بخط أحمد .

قال ابن الجوزى : ولما وقع الغرق ببغداد سنة أربع وخمسين وخمسمائة وغرقت كتبى سلم لى مجلد فيه ورقتان من خط الإمام أحمد رحمه الله . انتهى كلامه .

وفى قصيدة إسماعيل بن فلان الترمذى التى أنشدها للإمام أحمد بن حنبل وهو فى السجن فى المحنة يقول فيها :

إذا مُيِّزَ الأشياخُ يوماً وحُصِّلوا ... فأحمدُ من بين المشايخ جوهرُ
إذا افتخرَ الأقوامُ يوماً بسيِّدٍ ... ففيه لَنَا والحَمْدُ لله مَفْخَرُ
فيا أيها الساعى ليدركَ شأوَهُ ... رويدَكَ عن إدراكِه سَتُقَصِّرُ
حمى نفسَهُ الدُّنيا وقد سَنَحَتْ له ... فمنزلُهُ إلا من القوتِ مُقْفِرُ
فإنْ يَكُ فى الدُّنيا مُقِلاً فإنَّهُ ... من الأدبِ المحمودِ والعلمِ مكثِرُ

وروى من غير طريق أن الشافعى رضى الله عنه كتب من مصر كتاباً وأعطاه للربيع بن سليمان ، وقال : اذهب به إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل وائتنى بالجواب ، فجاء به إليه

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن شيخ الجزيرة ميمون ابن مهران الميمونى الرقى تلميذ الإمام أحمد ، ومن كبار الأئمة ، سمع من إسحاق بن يوسف الأزرق ، وحجاج بن محمد وغيرهما ، حدث عنه : النسائى ووثقه ، وأبو عوانة وآخرون ، مات فى ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٣ / ٨٩ ، ٩٠] .

(٢) هو الإمام القاضى رئيس الحنفية صدر العراقيين نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد بن على بن حسن الزينبى الحنفى ، مولده سنة عشرين وأربعمائة ، سمع أبا طالب بن غيلان ، وأبا القاسم الأزهرى وغيرهما ، حدث عنه : عبد الغافر الكاشغرى ، وعلى بن طراد وغيرهم ، مات فى صفر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة . [سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٥٣ ــ ٣٥٥] .

فلما قرأه تغرغرت عيناه بالدموع . وكان الشافعى ذكر فيه أنه رأى النبى ﷺ فى المنام وقال له : اكتب إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه منى السلام وقل له : إنك ستُمْتَحَنُ وتُدْعَى إلى خَلْقِ القرآن ، ولا تُجِبهُم يرفع اللهُ لكَ عَلَماً إلى يوم القيامة ، فقال له الربيع : البشارة فأعطاه قميصه الذى يلى جلده وجوابَ الكتاب ، فقال له الشافعى : أى شىء دفع إليك ؟ قال: القميص الذى يلى جلده ، قال : ليس نَفْجَعُكَ به ، ولكن بُلَّهُ وادفع إلينا الماءَ حتى نشركك فيه . وفى بعض الطرق قال الربيع : فغسلته وحملت ماءه إليه ، فتركه فى قنينة ، وكنت أراه فى كل يوم يأخذ منه فيمسح على وجهه تبركاً بأحمدَ بن حنبل رضى الله عنهما .

وقد قال الشيخ تقى الدين : كذبوا على الإمام أحمد حكايات فى السنة والورع ، وذكرَ هذه الحكايةَ وحكايةَ امتناعه من الخبز الذى خُبِزَ فى بيت ابنه صالح لما تولى القضاء ؟ ودفعَ إلى الإمام أحمد كتابٌ من رجلٍ يسأله أن يدعو له ، فقال : فإذا دعونا لهذا فنحنُ مَنْ يدعو لنا ؟

فصل فى حسن الجوار

وروى المروذى عن الحسن: ليس حسن الجوار كفَّ الأذى،حسن الجوار الصبر على الأذى، ورواه أبو حفص العكبرى فى « الأدب » له عن الشعبى . وفى « الصحيحين » من حديث عائشة ومن حديث ابن عمر : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (١) .

وفيهما من حديث أبى هريرة : « مَنْ كان يؤمنُ باللّه واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه »(٢) . ولمسلم أيضاً : « فَلْيُحْسِنْ إلى جاره » (٣) ورواه أيضاً من حديث أبى شريح العدوى (٤) . ولأحمد : « فليكرم جارَه » (٥) . ولأحمد من حديث عبد اللّه بن عمر : « فليحفظ جاره » (٦) .

وفى « الصحيحين » من حديث أبى هريرة : « واللّه لا يؤمن ، واللّه لا يؤمن ، واللّه لا يؤمن، مَنْ لا يأمن جارُه بوائقه » ولمسلم أيضاً : « لا يدخل الجنة » (٧) .

---

(١) البخارى فى الأدب ، ب الوصاة بالجار (٦٠١٤) ، ومسلم فى البر والصلة ، ب الوصية بالجار والإحسان إليه (٢٦٢٤/ ١٤٠) .

(٢) البخارى فى الأدب ، ب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٨) ، ومسلم فى الإيمان ، ب الحث على إكرام الجار والضيف (٤٧/ ٧٥) .

(٣) مسلم فى الإيمان ، ب الحث على إكرام الجار والضيف (٤٧/ ٧٦) .

(٤) مسلم فى الإيمان ، ب الحث على إكرام الجار والضيف (٤٨/ ٧٧) .

(٥) أحمد ٢/ ٢٦٧ ، ٤٣٣ ، ٤٦٣ .

(٦) أحمد ٢/ ١٧٤ .

(٧) البخارى فى الأدب ، ب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٦٠١٦) ، ومسلم فى الإيمان ، ب بيان تحريم إيذاء الجار (٤٦/ ٧٣) .

وروى أبو داود : حدثنا الربيع بن نافع أبو توبة ، حدثنا سليمان بن حيان ، عن محمد ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ يشكو جاره ، فقال : « اذهب فاصبر » ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ، فقال : « اذهب فاطرح متاعك فى الطريق ، فطرح متاعه فى الطريق ، فجعل الناس يسألونه ، فيخبرهم خبره فجعل الناس يلعنونه : فعلَ اللّهُ به وفعل ، فجاء إليه جاره فقال له : ارجع ، لا ترى منى [شيئاً] (١) تكرهه(٢). إسناده جيد، ومحمد حَسَنُ الحديث .

وله أيضاً وللترمذى وقال : حسن غريب : عن عبد اللّه بن عمرو أنه ذبح شاة فقال: أهديتم لجارنا اليهودى ؟ فإنى سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول : « ما زال جبريل » الحديث (٣).

وقال البخارى فى « التاريخ » فى الكنى : أبو عمر هو البجلى (٤) . قال على بن حكيم الأودى : حدثنا شريك ، عن أبى عمر ، عن أبى جحيفة قال : شكا رجل إلى النبى ﷺ جاره فقال : « احمل متاعك فضعه على الطريق فَمَنْ مَرَّ به يلعنه » فجعل كلُّ مَن مرَّ به يلعنه، فجاء إلى النبى ﷺ فقال: ما لقيتَ من الناس ؟ فقال : « إن لعنةَ اللّه فوق لعنتهم » (٥) .

وقال ابن عبد البر : كان داود عليه السلام يقول : اللهم إنى أعوذُ بك من جارِ سوء : عينهُ ترانى وقلبه لا ينسانى . وقال أبو الدرداء : مكتوب فى التوارة : إنَّ أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه قرابتهُ وجيرانه . وقال عكرمة : « إن أزهد الناس فى عَالِم جيرانهُ » . وقال البيهقى وغيره عن كعب الأحبار : فى الكتاب المنزل الأول: « أزهدُ الناس فى عالمٍ جيرانه » . وقال الحسن البصرى : وروى مرفوعاً ولا يصح .

قال ابن عبد البر : وقال رجل لسعيد بن العاص : واللّه إنى أحبك ، فقال : ولم لا تحبنى ولست لى بجار ولا ابن عم ؟ كان يقال : الحسد فى الجيران ، والعداوة فى الأقارب . قال الشاعر :

أنت خِلى وأنت حُرْمَةُ جارى ... وحقيقٌ علىَّ حِفْظُ الجِوار
إن للجار إن تَغَيَّبَ عيناً ... حافظاً للغيب والأسرار
ما أبالى أكان للباب سِتْرٌ ... مُسْبَل أم بقى بغير سترِ

---

(١) ساقطة من المخطوطة ، وقد أثبتناها من أبى داود .
(٢) أبو داود فى الأدب ، ب فى حق الجوار (٥١٥٣) .
(٣) أبو داود فى الكتاب والباب السابقين (٥١٥٢) ، والترمذى فى البر والصلة ، ب ما جاء فى حق الجوار (١٩٤٣) .
(٤) البخارى فى التاريخ الكبير فى الكنى ٥٦/٨ (٤٨٥) .
(٥) البخارى فى الأدب المفرد ، ب الكرم (١٢٥) ، والحاكم فى المستدرك فى البر والصلة ١٦٦/٤ .

وقال آخر :

نـارى ونَـارُ الجـارِ واحـدَةٌ وإليـه قَبْلـى تُنْـزَلُ القـدْرُ
مـا ضـرَّ جـاراً لـى أجـاورُهُ ألا يكـونَ لِبَـابِـهِ سِتْـرُ
أعمـى إذا مـا جارتـى بَـرَزَتْ حتـى تُـوارِىَ جـارتـى الجُدر

وقال آخر :

أقـولُ لجـارى إذ أتـانى معـاتبـاً مـدلاً بـحـقٍّ أو مُـدلاّ ببـاطـل
إذا لم يَصِـلْ خيـرى وأنت مجاور إليـكَ فمـا شَـرِّى إليكَ بـواصـلِ

ومن كلام على بن أبى طالب رضى اللّه عنه : الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق . أخذه الشاعر فقال :

يقولون قبل الدار جارٌ موافقٌ وقبلَ الطريق النَّهْجِ أُنْسُ رفيقِ

وقال آخر :

اطلبْ لنفسك جيراناً تُجَاوِرُهُمْ لا تَصْلُحُ الدَّارُ حتى يَصْلُحَ الجارُ

وقال آخر :

يلومونني إذ بعت بالرخص منزلاً ولم يعرفوا جاراً هناك يُنغِّص
فقلـت لهـم كفـوا المـلام فإنهـا بجيرانها تغلـو الديـار وَتَرْخُـصُ

وقال الحسن البصرى رحمه اللّه : إلى جنب كل مؤمن منافق يؤذيه .

وقال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : من حق الجار أن تبسط إليه معروفك ، وتكف عنه أذاك .

وقال على بن أبى طالب للعباس : ما بقى من كرم إخوانك ؟ قال : الإفضالُ على الإخوان ، وتركُ أذى الجيران . قال الشاعر :

سَقْياً ورَعْياً لأقوامٍ نزلتُ بهم كأن دارَ اغترابى عندهم وطنى
إذا تأملتُ من أخلاقهم خُلُقاً علمتُ أنَّهمُ من حِلْيَةِ الزَّمَنِ

وقال آخر :

إذا ما رفيقى لم يكن خَلْفَ ناقتى ... له مركبٌ فضلٌ فلا حَمَلَتْ رحلى
ولم يك مَنْ زادى له نصف مِزْوَدِى ... فلا كنتُ ذا زادٍ ولا كنتُ ذا رحلِ
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى ... علىَّ له فضلاً بما نالَ من فضلى

وقال آخر :

نزلتُ على آل المهلب شالئاً ... غريباً عن الأوطان فى بلدٍ مَحْلِ
فما زال بى إكرامُهم وافتقادُهُمْ ... وبِـرُّهُـمُ حتى حَسِبْتُهُمُ أهـلـى

وذكر ابن عبد البر : ثلاث إذا كن فى الرجل لم يشك فى عقله وفضله : إذا حمده جاره، وقرابته ، ورفيقه .

كدر العيش فى ثلاث : الجار السوء ، والولد العاق ، والمرأة السيئة الخلق . ثلاثة لا يأنف الكريم من القيام عليهن : أبوه وضيفه ودابته . ويأتى هذا المعنى فى مخالطة السلطان قبل فصول اللباس .

خمسة أشياء تقبح فى خمسة أصناف: الحدة فى السلطان، وقلة الحياء فى ذوى الأحساب، والبخل فى ذوى الأموال ، والفتوة فى الشيوخ ، والحرص فى العلماء والقراء .

وفيهما أيضاً من حديثه :« يا نساء المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»(١).

وللترمذى : « تهادوا فإنَّ الهديةَ تذهب وَحَرَ الصدر ، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن [شاة](٢) » (٣) .

الفِرْسِن : العظم قليل اللحم ، وهو خف البعير أيضاً كالحافر للدابة ، وقد يستعار للشاة وهو الظلف . ونونه زائدة وقيل أصلية . ووحر الصدر: بالتحريك غِشُّهُ ووسواسه.

ولأحمد من حديث عمر : لا يشبع الرجل دون جاره (٤) .

قال فى « المستوعب » : وحسن الجوار مأمورٌ به ، فإن للجار حقاً وحرمة ، ثم ذكر كما ذكر الحسن وزاد فى آخره ما لم يَعْصِ اللّه تعالى .

(١) البخارى فى الأدب ، ب لا تحقرن جارة لجارتها (٦٠١٧) ، ومسلم فى الزكاة ، ب الحث على الصدقة ولو بالقليل (١٠٣٠/ ٩٠) .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من المخطوطة ، وما أثبتناه من صحيح الترمذى .
(٣) الترمذى فى الولاء والهبة ، ب فى حث النبى ﷺ على التهادى (٢١٣٠) ،وقال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه » .
(٤) أحمد ١/ ٥٥ عن عمر بن الخطاب ، ورجاله ثقات وفيه انقطاع .

وجاء رجل إلى أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب [1] يشاوره فى الانتقال من محلة إلى أخرى لتأذى الجوار ، فقال : العرب تقول: صَبْرُكَ على أذى مَنْ تعرفه خيرٌ لك من استحداث مَنْ لا تعرفه . وكان الشيخ تقى الدين يقول هذا المعنى أيضاً .

وروى البيهقى فى مناقب الإمام أحمد عن عثمان بن زائدة قال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها فى التغافل . فحدثت به أحمد بن حنبل فقال : العافية عشرة أجزاء كلها فى التغافل[2] .

وروى أحمد : عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : ما كثرت النعم على قوم قط إلا كثر أعداؤها . وقد ذكرت خبر حذيفة عن النبى ﷺ قال : « لا ينبغى للمؤمن أنْ يُذلَّ نفسه » قالوا : يا رسول اللّه ، وكيف يذلُّ نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء ما لا يطيق » [3]

وقال بعضهم :

إن الهوان حمارُ الموت يألفُهُ ... والحرُّ يُنكرُهُ والفيلُ والأسد
ولا يقيم بدار الذل يألفها ... إلا الذليلان عَبْدُ السوء والوَتِد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يُشَجُّ فلا يرثى[4] له أحد

وقال آخر :

إذا كنتَ فى دارٍ يُهِينُك أَهْلُهَا ... ولم تَكُ مكبولاً بها فَتَحَوَّلِ

وقال آخر :

لا تَأْسَفَنَّ على خِلٍّ تفارقُهُ ... إن الأقاصىَ قد تدنو فَتَأْتَلِفُ
فالناسُ مبتدَلٌ والأرض واسعةٌ ... فيها مجالٌ لذى لُبٍّ ومنصرفُ

وقال آخر :

إذا ما الحُرُّ هانَ بأرضِ قومٍ ... فليس عليه في هَرَبٍ جُنَاحُ
وقد هُنَّا بأرضِكُمُ وصِرْنا ... لَقىً فى الأرضِ تَذْرُوه الرياحُ

(١) هو العلامة المحدث إمام النحو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيبانى مولاهم البغدادى صاحب «الفصيح والتصانيف »، ولد سنة مائتين ، سمع من إبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن سلام الجمحى ، وابن الأعرابى وغيرهم ، وحدث عنه نفطويه ، ومحمد بن العباس اليزيدى والأخفش الصغير وغيرهم ، ثقة حجة مشهور بالحفظ له تصانيف كثيرة فى النحو واللغة ، مات فى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين .[سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥ ــ ٧] .

(٢) يقصد إظهار الغفلة عن شرور الناس وأذاهم .

(٣) أحمد ٥/ ٤٠٥ .

(٤) فى المخطوطة :« يأوى » ولعله خطأ من الناسخ .

وقال آخر :

وإذا الديارُ تَنكَّرَتْ عن حالها فَدَعِ الدِّيَارَ وأسرع التَّحويلا
ليس المُقَامُ عليك حقاً واجباً في منزل يَدَعُ العزيزَ ذليلا

وقال آخر :

وكنتُ إذا ضاقت علىَّ محلةٌ تَيَمَّمْتُ أخرى ما علىَّ تَضيقُ
وما خابَ بين اللّه والنَّاس عاملٌ له فى التُّقى أو فى المحامدِ سوقُ
ولا ضاق فضلُ اللّه عن مُتَعَفِّفٍ ولكنَّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

وقال آخر :

إذا كنتَ فى دارٍ فحاولتَ رحلةً فَدَعْها وفيها إن أردتَ مَعَاد

وقال آخر :

اصبرْ على حَدَثِ الزَّمانِ فإنَّما فَرَجُ الشَّدائد مثلُ حَلِّ عقَالِ
فإذا خشيتَ تعذراً في بلدة فاشددْ عليك بعاجل التَّرْحَالِ
إنّ المُقَامَ على الهَوانِ مذلة والعَجْزُ آفةُ حِيلةِ المُحْتَالِ

وقيل :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ العيشِ في دعَةٍ نُزُوعُ نَفْسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تلقى بكلِّ بلاد إنْ نزلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

وقال ابن عبد البر حين رحل من إشبيلية :

وقائلة : مالى أراكَ مرحلا ؟ فقلت: صبراً واَسمعي القولَ مجملا
تنكَّرَ مَنْ كنا نُسَرُّ بقربه[1] وعاد زُعَافاً [2] بعد ما كان سَلْسَلا
وحق لجارٍ لم يوافقْهُ جارُه ولا لاءمَتْه الدارُ أنْ يترحَّلا
أليس بحزم من له الظل مقعدا إذا أدركته الشمس أن يَتَحوَّلا
بليت بحمصٍ والمُقَام ببلدة طويلاً لعمري مُخْلِقٌ يورِثُ البلا
إذا هان حُرٌّ عند قومٍ أتاهمُ ولم يَنْأَ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تُضْرَبِ الأمثالُ إلا لِعَالِمٍ ولا غَرَّبَ الإنسانُ إلا ليعقلا

(١) فى المخطوطة: « نُسَرَّبه » ، والمثبت من ر ، ط .
(٢) فى المخطوطة : « وعاد عاقّا »، والمثبت من ر ، ط .

قال ابن عبد البر : قيل للأوزاعى: رجل قَدَّمَ إلى ضيفه الكامخ [1] والزيتون وعندهمُ اللحمُ والعسلُ والسمن ؟ فقال : لا يؤمن هذا باللّه ولا باليوم الآخر .

قال الشاعر:

طعامى طعامُ الضيف والرَّحْلُ رَحْلُهُ ... ولـم يُلْـهِنى عنـه غـزال مُقَنَّعُ
أحَدِّثُهُ إنَّ الحديـثَ مـن الـقِرى ... وتعلمُ نـفسى أَنَّـهُ سـوفَ يهجعُ

وقال آخر :

يستـأنس الضيـفُ فـى أبياتنـا أبَـداً ... فليـس يَعْلَـمُ خَـلْقٌ أَيُّنـا الضيـفُ

وقال حسان :

يُغْشَـوْنَ حتـى مـا تَهِرُّ كـلابُهُـمْ ... لا يسـألـون عـن السَّـوَادِ المقبـلِ

وقال آخر :

وقـد عَـرَفَتْ كلابُهُـمُ ثيابـى ... كأنِّـى منهـمُ ، ونَسِيـتُ أهلـى

وقال آخر :

أُضَاحِكُ ضيفى قبل إنزال رَحْلِه ... ويُخصبُ عندي والمَحَل جَديبُ
وما الخصب للأضياف أن يكثُر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

وقيل :

وضَيفَـكَ قابِلْـهُ ببِشْـرِكَ ولْيَكُـنْ ... لـه منـكَ أبكـارُ الحـديثِ وعُـونُهُ

وقيل :

تـراهم خشيـة الأضيـافِ خُرْسـاً ... يُصَلُّـونَ الصَّـلاَةَ بـلا أذانِ

وقيل :

ذرينـى فـإنَّ الشُّـحَّ يـا أمَّ مـالكِ ... لصالحِ أخلاقِ الرجال سَرُوقُ
ذرينـى وحَظِّـى فـى هوانِـىَ إننـى ... على الَحَسَبِ العالي الرفيعِ شفيقُ

فصل فى حب الفقر والموت والحذر من الدنيا

قال المروذى : قال أبو عبد اللّه : كأنك بالموت وقد فَرَّقَ بيننا ، أنا لا أعدلُ بالفقر شيئاً ، أنا أفرح إذا لم يكن عندى شىء ، إنى لأتمنى الموت صباحاً ومساء أخافُ أنْ أُفتنَ فى الدنيا .

(١) الكامخ : نوع من الأدم معرّب . اللسان ، مادة « كمخ » .

قال مسروق [1] . إنما تحفة المؤمن حفرته .

وقال إسحاق بن هانئ : قال أبو عبد اللّه : قال الحسن : أهينوا الدنيا ؛ فواللّه لأهنأ ما تكونُ حين تهان .

وقال أحمد أيضاً : الغنى من العافية . وقال له رجل : أوصنى ، قال : أَعِزَّ أمرَ اللّه حيثما كنتَ ، يُعِزَّكَ اللّهُ .

وقال يحيى الجَلا : سمعت أحمد بن حنبل يقول : عزيزٌ علىَّ أنْ تُذيبَ الدنيا أكبادَ رجالٍ وَعَتْ صدورُهُمُ القرآنَ .

وقال إبراهيم بن هانئ : اختفى عندى أحمد بن حنبل ثلاث ليال ، ثم قال لى : اطلب لى موضعاً حتى أدور ، قلتُ : إنى لا آمن عليك يا أبا عبد اللّه ، فقال : النبى ﷺ اختفى فى الغار ثلاثة أيام ، وليس ينبغى أنْ تُتَّبَعَ سنةُ رسول اللّه ﷺ فى الرخاء ، وتُتْرَكَ فى الشدة ! وطلبه المأمون فمات قبل أن يصل إليه .

قال صالح : قال أبى : وكنتُ أدعو اللّه ألا أراه ، فحدثنى أبى ، حدثنا معمر بن سليمان، عن فرات بن سليمان ، عن ميمون عن مهران قال : ثلاثة لا تبلونَّ نفسك بهن : لا تَدْخُلَنَّ على سلطان وإنْ قلت : آمُرُهُ بطاعة ، ولا تدخلن على امرأة وإنْ قلت : أُعَلِّمُهَا كتابَ اللّه ، ولا تُصْغِيَنَّ سَمْعَكَ لذى هوىً ، فإنك لاتدرى ما يعلق قلبُك منه .

قال صالح : سمعت أبى رحمه اللّه يقول : واللّه لقد أعطيتُ المجهود من نفسى ، ولَوَدِدْتُ أنى أنجو من هذا الأمر كفافاً لا علىَّ ولا لى .

وروى الخلال ، عن محمد بن موسى ، عن أبى جعفر محمد بن زهير : أن رجلاً أتى أحمد فسأله عن شىء فأجابه ، فقال له : جزاكَ اللّهُ عن الإسلام خيراً ، فغضب وقال له : مَنْ أنا حتى يجزينى اللّه عن الإسلام خيراً ؟ أنت فى غير حِلٍّ من جلوسك.

وقال إبراهيم بن عبد اللّه عن أحمد : ما سمعت كلمة كانت أقوى لقلبى وأقرّ لعينى فى المحنة من كلمة سمعتها من فقيرٍ أعمى فى رحبة طوق قال لى : يا أحمد ، إنْ تَهْلِكْ فى الحق مُتَّ شهيداً ، وإنْ عشْتَ عشتَ حميداً .

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مرة بن سلمان بن معمر ، حدث عن أبى بن كعب ، وعمر ، وأبى بكر الصديق وابن مسعود ، وغيرهم ، وعنه الشعبى ، وإبراهيم النخعى ، ومكحول الشامى وغيرهم ، كان ثقة له أحاديث صالحة ، مات سنة اثنتين وستين . [سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣ ــ ٦٩] .

وقال إسحاق بن حنبل عم أحمد : يا أبا عبد اللّه ، قد أعذرت فيما بينك وبين اللّه تعالى، وقد أجاب أصحابك ، واليوم بقيتَ فى الحبس والشر ، فقال لى : يا عم ، إذا أجاب العالمُ تقيةً ، والجاهلُ بجهل ، فمتى يتبين الحق ؟ فأمسكت عنه .

وقال ابن المنادى : دخل أحمد بن داود الحداد على أبى عبد اللّه الحبسَ قبلَ الضربِ ، فقال له فى بعض كلامه : يا أبا عبد اللّه ، عليكَ [رجال] (١) ، ولك صبيانٌ ، وأنت معذورٌ، ــ كأنه يُسَهِّلُ عليه الإجابة ــ فقال له أحمد بن حنبل : إن كان هذا عقلك فقد استرحت .

وقال أبو جعفر الرازى : كان إسحاق بن إبراهيم يقول : أنا واللّه رأيتُ يومَ ضُرِبَ أحمد وقد ارتفع من بعد انخفاضه ، وانعقد من بعد انحلاله ، ولم يفطن لذلك لذهولِ عقلِ مَنْ حضره ، وما رأيتُ يوماً كان أعظم من ذلك اليوم .

وقال الحسن بن الصباح البَزَّار أحد الأئمة الأعلام : حدثنا سيدنا وشيخنا أحمد بن حنبل. وقال : قد كان ها هنا أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وكنا نرجو أن يحفظنا اللّه تعالى بهما، إنهما ماتا وبقى سَرِى؛ فإنى أرجو أن يحفظنا اللّه بسرى .

وقد قال أبو الفضل الحسن بن محمد بن أَعْيَنَ : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لولا بشرٌ ــ يعنى الحافى ــ وما نرجوهُ من استغفاره لنا ، لكنا فى عُضْلة .

وقال أبو زرعة : قلت لأحمد بن حنبل : كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ فقال : لو وُضِعَ الصدقُ على جرحٍ لبرئ .

وقال خلف : جاءنى أحمد بن حنبل يسمع حديث أبى عوانة ، فاجتهدتُ أنْ أرفعه ، فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أُمِرْنَا أنْ نتواضعَ لمن نتعلم منه .

وقال محمد بن محمد بن عمر أبو الحسن العطار : إنه رأى أحمد بن حنبل أخذ لداود بن عمر بالركاب ، ذكره الحافظ تقى الدين بن الأخضر فيمن روى عن أحمد .

وذكر أيضاً أن أحمد بن سعيد الرباطى(٢)ــ لأنه تولَّى الرباطات فَنُسِبَ إليها ــ قال : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : أخذنا هذا العلم بالذل فلا ندفعه إلا بالذل .

وقال الرِّباطى: قدمتُ على أحمد بن حنبل فجعل لا يرفعُ رأسه إلىَّ، فقلتُ: يا أبا عبد اللّه، إنه يُكْتَبُ عنى بخراسان ، وإنْ عاملتنى بهذه المعاملة رَمَوْا بحديثى ، فقال لى أحمد :

(١) فى المخطوطة : « عيال » ، وما أثبتناه من أ، ر ، ط ، وهو أوفق للسياق.

(٢) هو الإمام الحافظ الحجة أمير الرباط أبو عبد الله أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطى الأشقر ، سمع من وكيع ، وعبد الرزاق ، ووهب بن جرير ، وغيرهم وحدث عنه : البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وآخرون ، وهو من الأئمة المقتدى بهم ، توفى سنة خمس وأربعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٢/٢٠٧ ــ ٢٠٩] .

وهل بُدٌّ يوم القيامة أنْ يقال : أين عبد اللّه بن طاهر وأتباعه ؟ انظر أين تكون منهم ؟ فقلت : يا أبا عبد اللّه ، إنما ولانى أمر الرباط ، لذلك دخلت ، قال : فجعل يكرر ذلك على .

وينبغى أن يخفض صوته عنده . قال الشيخ تقى الدين : مَنْ رفع صوته على غيره ،عَلِمَ كُلُّ عاقلٍ أنه قلة احترام له ، انتهى كلامه .

ولما رفع صوته سعدٌ على أبى جهل قال له بعض قريش : لا ترفع صوتك على أبى الحكم. وقد قال تعالى : ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**﴾ [لقمان : ١٩] . أى : انقص منه ، ومنه قوله : غضضتُ بصرى ، وفلانٌ يَغُضُّ بصره من فلان . ﴿ **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَات** ﴾ [لقمان : ١٩] . أى : أقبح . تقول : أتانا فلان بوجه منكر : أى قبيح .

وقال المبرد (١) : تأويله أنَّ الجهرَ بالصوتِ ليس بمحمود ، وأنه داخل فى باب الصوت المنكر .

وقال ابن قتيبة (٢) : عَرَّفَهُ قُبْحَ رفعِ الأصواتِ فى المخاطبةِ بقبحِ أصواتِ الحمير ؛ لأنها عالية .

قال ابن زيد : لو كان رفعُ الصوتِ خيراً ما جعله اللّه للحمير . وقال سفيان الثورى : صِياحُ كل شىء تسبيحٌ للّه إلا الحمار ؛ فإنه ينهق بلا فائدة ، ذكر ذلك ابن الجوزى وغيره .

وقال ابن عقيل فى « الفنون » : مما وجدته فى آداب أحمد رضى اللّه عنه أنه كان مستنداً، وذكر عنده ابن طَهمان(٣) ، فأزال ظهره عن الاستناد ، وقال : لا ينبغى أن يجرى ذِكْرُ الصالحين ونحن مستندون . قال ابن عقيل : فأخذت من هذا حُسْنَ الأدب فيما يفعلهُ الناسُ عند إمام العصر من النهوض لسماع توقيعاته . وقد ذكر هذا الحافظ ابن الأخضر فيمن روى عن

---

(١) هو إمام النحو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى البصرى النحوى الأخبارى صاحب «الكامل»، أخذ عن عثمان المازنى ، وأبى حاتم السجستانى ، وأخذ عنه أبو بكر الخرائطى، ونفطويه ، وسهل القطان وآخرون ، كان إماما علامة جميلا مفوهاً ، له تصانيف كثيرة ، مات سنة ست وثمانين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٦ ، ٥٧٧] .

(٢) هو العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن سلام بن قتيبة الدينورى ، الكاتب صاحب التصانيف، حدث عن إسحاق بن راهويه ، وأبى حاتم السجستانى وغيرهما ، وحدث عنه عبيد الله السكرى ، وابن درستويه وغيرهما كان ثقة دينا فاضلا ، له مؤلفات كثيرة منها طبقات فحول الشعراء ، عيون الأخبار وغيرها كثير ، مات سنة ست وسبعين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٦ ــ ٣٠٢] .

(٣) إبراهيم بن طهمان بن شعبة الإمام عالم خراسان أبو سعيد الهروى . ولد فى آخر زمن الصحابة الصغار ، حدث عن ثابت البنانى ، وسماك بن حرب ، وغيرهما ، وحدث عنه صفوان بن سليم ، وأبو حنيفة وغيرهما ، وثقه ابن المبارك ، مات سنة ثلاث وستين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٨ ــ ٣٨٥] .

وكان متكئاً من عِلَّةٍ فاستوى جالساً وقال : لا ينبغى أن نذكر الصالحين فنتكئ .

وقال الشافعى : لا يطلب هذا العلم أحدٌ بالملك وعِزَّةِ النفس فيفلح ، لكن مَنْ طلبه بذلة النفس ، وضيق العيش ، وخدمة العلم ، وتواضع النفس أفلح .

وقال أبو توبة البغدادى : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعى فى المسجد الحرام فقلت له : يا أبا عبد اللّه ، هذا سفيان بن عيينة فى ناحية المسجد يحدث ، فقال : هذا يفوت وذاك لا يفوت .

وروى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال : لما قبض رسول اللّه ﷺ قلْتُ لرجلٍ من الأنصار : هلمَّ فلنسأل أصحابَ رسول اللّه ﷺ فإنهم اليوم كثير ، قال : واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليكَ ، وفى الناس من أصحاب رسول اللّه ﷺ مَنْ فيهم ؟ قال : فترك ذلك ، وأقبلتُ أنا أسأل أصحابَ رسول اللّه ﷺ عن الحديث ، فإن كان ليبلغنى الحديثُ عن الرجل فآتى بابَهُ وهو قائلٌ فأتوسَّدُ ردائى على بابه تُسْفى الريحُ علىَّ من التراب فيخرج فيقول : يا ابن عم رسول اللّه ﷺ ، ما جاء بك ؟ ألا أرسلتَ إلىَّ فآتيَكَ ؟ فأقول : أنا أحَقُّ أنْ آتيكَ ، فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش ذلك الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناسُ حولى فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى .

وفى « الصحيحين » أن رسول اللّه ﷺ قرأ على أُبَىِّ بن كعب : ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [سورة البينة] . وأن اللّه أمره بذلك (١) .

قال بعضهم : قرأ عليه لتعليمه ، وقال بعضهم : ليسنَّ التواضعَ فى أخذ الإنسان من العلوم عن أهلها ، وإنْ كانوا دونه فى النسبِ والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك ، ولينبِّهَ الناسَ على فضيلة أبىٍّ وتقديمه فيجتهدون فى الأخذِ عنه ، وإنما خصَّ هذه السورة لاقتضاء الحالِ الاختصار مع أنها جامعة .

وكان على بن الحسين زين العابدين يدخل المسجد ، فَيَشُقُّ الناسَ حتى يجلسَ فى حلقة زيد بن أسلم ، فَعُوتِبَ فى ذلك ، فقال : إن العلم يُبتغى ويُؤتى ويطلب من حيث كان .

وكان عروة بن الزبير يقول لبنيه : إنا كنا صغارَ قومٍ وإنا اليوم كبار ، وإنكم ستكونون مثلنا إنْ بقيتم ، ولا خير فى كبير لا عِلْمَ عنده .

وقال عبد الملك بن عمير (٢) : لقد رأيت عبد الرحمن بن أبى ليلى فى حلقة فيها نفر من

---

(١) البخارى فى التفسير ، ب سورة ﴿**لَمْ يَكُنِ**﴾ (٤٩٥٩ ، ٤٩٦٠) ، ومسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ،ب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه (٧٩٩/ ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(٢) عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى ، رأى عليا وأبا موسى الأشعرى ، حدث عن جندب البجلى، وجابر بن سمرة والنعمان بن بشير وغيرهم ، حدث عنه شعبة والثورى ومسعر، وخلق كثير، اختلف فى توثيقه ، مات سنة ست وثلاثين ومائة فى ذى الحجة. [سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٨ ــ ٤٤١].

الصحابة يستمعون لحديثه وينصِتونَ له ، منهم البراء بن عازب .

وعن الأصمعى قال : من لم يحمل ذلَّ التعلم ساعة ، بقى فى ذلِّ الجهل أبداً .

وقال عبد اللّه بن المعتز [1]: المتواضع فى طلب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء . وقد نظم هذا أبو عامر النسوى [2] فقال :

العلمُ يأتى كلَّ ذى خَفْضٍ ، ويأبى كُلَّ آبى
كالماء ينزلُ فى الوِهـ د ، وليسَ يصعدُ فى الرَّوَابى

وكذلك ينبغى أن يَتَحَمَّلَ الطالبُ ما يكون من الشيخ أو من بقية الطلبة لئلا يفوته العلمُ ، فتفوته الدنيا والآخرة ، مع حصول العدو طلبه . وشماتةُ الأعداء من الأربعة المأمور بالاستعاذة منهن فى « الصحيحين » فى قوله عليه السلام : « تَعَوَّذُوا باللّه من جَهْدِ البلاء ، ودَرْكِ الشقاء، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء » [3] وقد قيل :

لمحبرةٌ تُجالسنى نهارى أحبُّ إلى من أُنْسِ الصَّديقِ
ورِزمةُ كاغد فى البيت عندى أعزُّ إلىَّ من عِدْلِ الدَّقيقِ
ولطمةُ عالم فى الخَدِّ منى ألَذُّ إلىَّ من شرب الرحيق

وقال الشافعى : غضب الأعمش يوماً على رجل من الطلبة فقال آخر : لو غضب علىَّ مِثْلُكَ لم أَعُدْ إليه ، فقال له الأعمش : إذاً هو أحمق مِثْلُكَ ، يترك ما ينفعهُ لسوءِ خُلُقى ، ذكره البيهقى .

فصل فى الوحدة والعزلة والتواضع فى سيرة أحمد

قال عبد اللّه: كان أبى أصبرَ الناس على الوحدة ، وقال : لم يَرَ أحدٌ أبى إلا فى مسجد، أو حضور جنازة ، أو عيادة مريض ، وكان يكره المشى فى الأسواق . وقال الميمونى عنه : رأيتُ الوحدة أَرْوَحَ لقلبى .

---

(١) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى ولد سنة سبع وأربعين ومائتين، الشاعر المبدع ، له تصانيف كثيرة فى الأدب منها الجامع فى الغناء ، الزهر والرياض ، وله ديوان شعر ، مات سنة ستة وتسعين ومائتين هجرية. [الأعلام ١١٨/٤ ، ١١٩] .

(٢) هو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء ، الإمام الحافظ الثبت أبو العباس الشيبانى الخراسانى النسوى ، صاحب المسند ، ولد سنة بضع وثمانين ومائتين ، روى عن أحمد بن حنبل، وإبراهيم بن يوسف البلخى ،وخلق كثير،حدث عنه ابن خزيمة ، ويحيى بن منصور القاضى وغيرهما ،ثقة صدوق ،مات فى رمضان سنة ثلاث وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٥٧/١٤ ــ ١٦٢]

(٣) البخارى فى القدر ، ب من تعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء (٦٦١٦) ، ومسلم فى الذكر والدعاء ، ب فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٥٣/٢٧٠٧) كلاهما عن أبى هريرة .

وقال المروذى : ذكرت لأبى عبد اللّه عبدَ الوهاب على أنْ يلتقيا ، فقال : أليس قد كره بعضُهم اللقاء ؟ وقال : يتزيَّنُ لى وأتزينُ له ، وكفى بالعزلة علماً ، والفقيه الذى يخاف اللّه .

وقال لى أبو عبد اللّه: قل لعبد الله [1] أخْمِلْ ذِكْرَكَ ، فإنى أنا قد بُليتُ بالشهرة .

وقال غيره : عن أحمد : طوبى لمن أخملَ اللّه ذِكْرَهُ . ونقل غيرُه عن أحمد أنه قال : أشتهى ما لا يكون ، أشتهى مكاناً لا يكون فيه أحدٌ من الناس .

وقال أبو عبد اللّه أحمد بن محمد المُسَيَّبى : [قلت] [2] لأبى عبد اللّه : إنى أحب أنْ آتيَكَ فأسلمَ عليك ، ولكن أخافُ أنْ يُكرهَ الرجل ؟ فقال : إنا لنكره ذلك .

وقال الأثرم [3] : سمعت الهيثم بن خارجة [4] قال لأبى عبد اللّه : أنت عروسٌ تُزَارُ ولا تزور .

ومن نظر فى سيرة أبى عبد اللّه وترجمة ما سبق وما يأتى وما لم نذكره وجد همَّته فى الخيرات والطاعات من أعلى الهمم ، وأنه يَصْدُق عليه ما رواه الحاكم فى « تاريخه » عن الأصمعى : أن دغفلاً دخل على معاوية فقال له : أى بيتٍ أفْخرُ ؟ قال قول الشاعر :

له هِمَمٌ لا مُنتهى لكبارها ... وهِمَّتُهُ الصغري أجَلُّ من الدهر
له راحةٌ لو أنَّ مِعشارَ جُودِهَا ... على البَرِّ كان البَرُّ أندي من البحرِ

وقال صالح : كان أبى إذا دعا له رجل يقول : الأعمالُ بخواتيمها .

وقال عامر للإمام أحمد : يا أبا عبد اللّه ، بلغنى أنك رجل من العرب ، فمن أى العربِ أنت ؟ فقال لى : يا أبا النعمان نحن قوم مساكين ، وما نصنع بهذا ؟ فكان ربما جاءنى أريده على أن يخبرنى فيعيد علىَّ مثل ذلك الكلام ولا يخبرنى بشىء .

وقال عبد اللّه بن الرومى : كنت كثيراً ما أرى أبا عبد اللّه أحمد بن حنبل ــ يعنى وهو بالبصرة ــ يأتى إلى مسجد بنى مازن فيصلى فيه ، فقلت له : يا أبا عبد اللّه ، إنى أراك كثيراً تصلى فى هذا المسجد ، قال : إنه مسجد آبائى .

---

(١) فى المخطوطة : « لعبد الوهاب » .

(٢) ساقطة من المخطوطة ، وهى فى أ ، ر ، ط .

(٣) هو الإمام المقرئ المحدث أبو العباس محمد بن أحمد بن أحمد بن حماد بن إبراهيم البغدادى الأثرم ، ولد سنة أربعين ومائتين ،سمع من الحسن بن عرفة ،وحميد بن الربيع وغيرهما ،حدث عنه ابن المظفر، والدارقطنى وغيرهما،مات بالبصرة سنه ست وثلاثين وثلثمائة. [سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠٣ ، ٣٠٤].

(٤) الهيثم بن خارجة أبو أحمد . ويقال : أبو يحيى المروذى البغدادى الحافظ حدث عن مالك ، والليث ، ويعقوب القمى وآخرون ،وحدث عنه: أحمد بن حنبل وعباس الدورى ،والبخارى وآخرون، قال يحيى بن معين : ثقة ، مات فى ذى الحجة سنة سبع وعشرين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٧ ــ ٤٧٩] .

وقال الخلال: حدثنا المروذى: قال: حضرت أبا ثور سئل عن مسألة فقال: قال أبو عبد اللّه إمامنا ، أو قال شيخنا أحمد بن حنبل فيها كذا وكذا ، فجعل السائل يدعو له ولم يسأله عن رأيه . فلما مضى التفت إلينا فقال : هذا لو أخبرته عن رأيى لكان ــ يعنى يطول ــ فحيث قلت له : أحمد بن حنبل مَرَّ وسكت . وجاء رجل إلى أبى عبد اللّه فقال : إن لى والدة مقعدة تسألك أن تدعو الله لها ، قال : فغضب ، وقال : كيف قصدتنى ؟ قل لوالدتك تدعو لى ، هذه مبتلاة ، وأنا معافى . ثم دعا لها ، وعوفيت .

وجاء رجل إلى أبى عبد اللّه من سمرقند بكتاب عبيد اللّه بن عبد الرحمن يجعل له مجلسا ، فأهدى إلى أبى عبد اللّه يوماً ثوباً فأعطاه رجلاً ، فقال : اذهب به إلى السوق فَقَوِّمْهُ، فذهب فجاء نيف وعشرون درهماً ، فحجبه أبو عبد اللّه حتى اشترى له ثوبين ومقنعة، أو ثوباً ومقنعة وبعث به إليه ثم أذن له فحدثه . وقال عبد اللّه : رأيت أبى إذا اختفى ، أكثر ذلك يقرأ القرآن .

وقال الأثرم : ربما يترك أصحاب أحمد بن حنبل أشياء ليس لها تبعة عند اللّه مخافةَ أنْ يُعَيَّرُوا بأحمد بن حنبل رضى اللّه عنه .

وقال أحمد بن الحسن الترمذى : رأيت أبا عبد اللّه يشترى من السوق الخبز ويحمل بنفسه فى الزنبيل ، ورأيته يشترى الباقلاء غير مرة ويجعله فى زبدية أو شىء آخر فيحمله وهو آخذ بيد عبد اللّه ابنه . وقال صالح : كان أبى ربما خرج إلى البقال فيشترى جرزة حطب فيحملها .

وقال الخلال: أخبرنا المروذى : سمعت أبا عبد اللّه يقول : كان يحيى بن يحيى قد أوصى لى بِجُبَّةٍ قال : ففرحتُ بها وأردتُ أنْ آخذها ، قال : وكانت أعجبتنى الجبة فقلت : رجلٌ صالح وقد صلّى فيها ، قال : فجاؤوا بها ومعها شىء آخر فرددته كله .

وقال الفضل بن زياد عن أحمد بن حنبل : ما أعظمَ بركةَ المغزل .

وقال المروذى : سمعت أبا عبد اللّه يقول : الخوفُ منعنى أن آكْلَ الطعامِ والشراب فما أشتهيه .

وقال الخلال : أخبرنى أبو بكر بن صدقة [1] : سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفى قال : أتيتُ أحمدَ بن حنبل أنا وعبد اللّه بن سعيد الحمال ، وذلك فى آخر سنة المائتين ، فقال

---

(١) هو الإمام الحافظ المتقن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادى ، حدث عن: أحمد ابن حنبل ، وإسماعيل بن مسعود الجحدرى ، ومحمد بن مسكين اليمانى وآخرون ، حدث عنه : أبو بكر الشافعى ، وسليمان الطبرانى وغيرهما ، كان نقالاً ثبتا ، توفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .[سير أعلام النبلاء ١٤/ ٨٣ ، ٨٤] .

أبو عبد اللّه لعبد اللّه بن سعيد : يا أبا محمد ، إنَّ أقواماً يسألونى أنْ أحدث ، فهل ترى ذلك؟ قال : فسكت أبو عبد اللّه وأطال السكوت ، قال : فقلت أنا لأبى عبد اللّه : أجيبك أنا؟ قال : تكلم ، قال : قلت له : إنْ كنتَ تشتهى أن تحدث فلا تحدث ، وإن كنت تشتهى ألا تحدث فحدث . قال : فكأن أبا عبد اللّه استحسن ذلك . قال فلما انبسط فى الحديث قال: فظننت أنه كان لا يشتهى أن يحدث .

وقيل لبشر بن الحارث : يا أبا نصر ، الرجلُ يكون عنده علم من القرآن فترى له أن يجلس فيعلم الناس ؟ قال : إنْ كان يُحِبُّ ذلك ، فلا يجلس .

فصل الخوف والرجاء وما قيل فى تساويهما وعدمه

قال الإمام أحمد رضى اللّه عنه : سبحانك ، ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم ؛ الخائفُ منهم مُقَصِّرٌ ، والراجى متوانٍ .

وقال المروذى : سمعت الإمام أحمد قال : الخوفُ منعنى عن أكلِ الطعام فما أشتهيه ، فإذا ذكرتُ الموتَ هان علىَّ كل شىء وقد تقدم .

وقال إبراهيم الحربى : سمعت أحمد يقول : إنْ أحببتَ أنْ يدوم اللّهُ لكَ على ما تحب ، فَدُمْ له على ما يحب . والخيرُ فيمن لا يرى لنفسه خيراً .

وروى الحاكم فى « تاريخه » عن وكيع : سمعت سفيان يقول : لا يتقى اللّه أحدٌ إلا اتقاه الناسُ شاؤوا أم أبوا .

وعن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العالم ابن العالم ابن العالم ، قال : سمعت سفيانَ ابن عيينة يقول : مَنِ استغنى باللّه أحوجَ اللّهُ عَزَّ وجل إليه الناس .

وقال ابن هانئ : قال لى أبو عبد اللّه : ينبغى للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحداً ، قال غيره عنه : فأيهما رجح صاحبه هلك . انتهى كلامه .

وينبغى أن يكون رجاء المريض أكثر ، وقطع به صاحب « النظم » . وقال أحمد لرجل : لو صححت ما خفت أحداً . وقد قيل :

فما فى الأرض أشجعُ من بريءٍ ولا فى الأرض أخوفُ من مريبِ

قال ابن عبد البر فى كتاب « بهجة المجالس » : كان يقال : مَنْ خاف اللّه ورجاه أمنه خوفه ، ولم يَحْرِمْهُ رجاءَهُ . قال بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد فإنه مَنْ خاف اللّه، أخافَ الله منه كل شىء ، ومَنْ لم يخفِ اللّه ، أخافَهُ اللّهُ من كل شىءٍ . وللحسن بن وهب

وينسب إلى الشافعى رضى اللّه عنه واللّه أعلم :

خفِ اللّهَ وارْجُوهُ لكلِّ عظيمةٍ ... ولا تُطِع النفسَ اللَّجوجَ فتندما
وكن بين هاتينِ من الخوف والرجا ... وأبْشِرْ بعفوِ اللّه إنْ كنت مسلما
فلما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت الرجا منى لعفوكَ سُلَّما

وقال آخر :

وإنى لأرجو اللّهَ حتى كأنما ... أرى بجميل الظَّنِّ ما اللّهُ صانعُ

وقال منصور الفقيه :

قطعتُ رجائى من بنى آدم طُرَّاً ... فأصبحتُ من رِقِّ الرجاء لهم حُرَّا
وعَدَّلَ يأسى بينهم ، فأجَلُّهُمْ ... إذا ذُكِرُوا قَدْراً كأدناهُمُ قَدْرا
غنَىً عنهمُ باللّه ، لا متطاولاً ... على أحد منهم،ولا قائلاً هُجْرا
وكيف يَعيبُ الناسَ بالمنع مؤمنٌ ... يرى النَّفْعَ ممن يملكُ النَّفْعَ والضُّرّا
عليه اتكالى فى الشَّدائدِ كُلِّها ... وحسبى به عند الشدائد لى ذُخْرا

وأنشد بعضهم وهو عبد اللّه بن محمد بن يوسف (١) رحمه اللّه تعالى :

أسيرُ الخطايا عند بَابكَ واقفٌ ... على وَجَلٍ مما به أنتَ عارفُ
يخاف ذنوباً لم يَغبْ عنك غَيْبُهَا ... ويرجوك فيها فهو راجٍ وخائفُ
فمن ذا الذى يُرجى سواكَ ويُتقى ... ومالك فى فصل القضاء مخالفُ
فيا سَيِّدى لا تُخْزِنى فى صحيفتى ... إذا نُشِرَتْ يومَ الحساب الصحائفُ
وكُنْ مُؤْنِسى فى ظلمةِ القبرِ عندما ... يصدُّ ذوو القُرْبى ويجفو الموالِفُ
لئن ضاقَ عنى عَفْوُكَ الواسع الذى ... أُرَجِّى لإسرافى فإنى لَتَالِفُ

فصل فى طلب العلم ، وما يبدأ به منه ، وما هو فريضة منه ، وفضل أهله

قال الميمونى : سألتُ أبا عبد اللّه: أيهما أحبُّ إليك أبدأُ ابنى بالقرآن أو بالحديث ؟ قال : لا ، بالقرآن . قلتُ : أُعلِّمُه كله ؟ قال : إلا أن يعسر ، فتعلمه منه . ثم قال لى : إذا قرأ

(١) هو الإمام الحافظ البارع الثقة أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبى بن الفرضى ، مصنف تاريخ الأندلسيين ، أخذ عن أبى جعفر بن عون الله ، وعبد الله بن القاسم ، وعباس بن أصبغ ، وغيرهم ، حدث عنه: أبو عمر بن عبد البر وقال : كان فقيها حافظاً وله مصنفات كثيرة ، قتل سنة ثلاث وأربعمائة كهلاً . [سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٧٧ ــ ١٨٠] .

أولاً تَعَوَّدَ القراءةَ ثم لزمها . وعلى هذا أتباع الإمام أحمد عَمَلاً إلى زمننا هذا . وسيأتى قريباً قول ابن المبارك : إنَّ العلمَ يُقَدَّمُ على نَفْلِ القرآن ، وهذا مُتَعَيَّنٌ إذا كان مُكَلَّفاً ؛ لأنه فَرْضٌ فيقدم على النفل . وكلامُ أحمد ــ واللّه أعلم ــ إنما هو فى الصغير كما هو ظاهر السياق ، والذى سأل ابنَ المبارك كان رجلاً فلا تعارضَ .

وأما الصغير فيقدم حفظ القرآن لما ذكره أحمد من المعنى ، ولأنه عبادةٌ يمكن إدراكها والفراغ منها فى الصغر غالباً ، والعلمُ عبادةُ العمر لا يفرغ منه فيجمع بينهما حسب الإمكان ، وهذا واضح وقد يحتمل أن يكون العلمُ أولى لمسيسِ الحاجة إليه لصعوبته وقلة مَنْ يعتنى به بخلاف القرآن ، ولهذا يقصر فى العلم مَنْ يجب عليه طلبه ، ولا يقصر فى حفظ القرآن حتى يشتغل بحفظه مَنْ يجب عليه الاشتغال فى العلم كما هو معلوم فى العرف والعادة .

وقال ابن هانئ لأحمد : ما معنى : « لو كان القرآنُ فى إهابٍ ما مَسَّتْهُ النار » ؟ (١) قال : هذا يُرْجى لمن القرآنُ فى قلبه ألا تَمَسَّهُ النار « فى إهاب » يعنى فى قلب رجل ، وقال أيضاً: فى جلد .

وقال إسماعيل الشالنجى (٢) : عن أبى عبد اللّه قال : والذى يجب على الإنسان من تعلُّمِ القرآن والعلم ما لابُدَّ له منه فى صلاته وإقامة دينه ، وأقَلُّ ما يجبُ على الرجل من تعلم القرآنِ فاتحةُ الكتاب وسورتان كذا وجدته ، ولعلَّه وسورة ، وإلا فلا أدرى ما وجهه ؟ مع أنه إنما يجب حفظه ما بلغ أنْ يجزئه فى صلاته وهو الفاتحة خاصة فى الأشْهَرِ عن أحمد ، والمسألةُ معروفةٌ فى الفقه .

وقد قال ابن حزم فى « الإجماع » قبل السبق والرمى : اتفقوا على أنَّ حفظَ شىءٍ من القُرآن واجبٌ ولم يتفقوا على ماهية ذلك الشىء ولا كميته بما يمكن ضبط إجماع فيه ، إلا أنهم اتفقوا على أنه من حفظ أم القرآن ببسم اللّه الرحمن الرحيم كلها وسورة أخرى معها ، فقد أدى فَرْضَ الحفظ ، وأنه لا يلزمه أكثر من ذلك . واتفقوا على استحباب حِفْظِ جميعِه ، وأنَّ ضبطَ جميعِه واجبٌ على الكفاية لا متعين .

وروى الخلال عنه أنه سئل عن رجل حفظ القرآن وهو يكتب الحديث يختلف إلى مسجد يقرأ ويقرئ ويفوته الحديث أن يطلبه ، فإنْ طَلَبَ الحديثَ ، فاته المسجدُ ، وإن قصد المسجَد ،

---

(١) أحمد ٤/ ١٥١ .

(٢) هو أبو إسحاق إسماعيل بن سعيد الشالنجى الكسائى الجرجانى إمام فاضل ،صنف كتبا فى الفقه وغيرها، روى عن :محمد بن الحسن الفقيه وابن عيينة ، ويحيى القطان ، وغيرهم وروى عنه:الضحاك بن الحسين الأزدى ، والحسين بن على الآملى ، وغيرهما ، مات سنة ثلاثين ومائتين ، وقيل : سنة ست وأربعين ومائتين . . [اللباب ٢/ ١٧٦ ، ١٧٧] .

فاته الحديثُ ، فما تأمره ؟ قال : بذا وبذا ، فأعدتُ عليه القولَ مراراً كل ذلك يجيبنى جواباً واحداً : بذا وبذا .

وسأل رجل ابن المبارك : يا أبا عبد الرحمن ، فى أى شىء أجعلُ فَضْلَ يومى : فى تَعَلُّمِ القرآنِ أو فى تعلم العلم ؟ فقال: هل تحسن من القرآن ما تقوم به صلاتك ؟ قال : نعم . قال: عليكَ بالعلم .

وقال أحمد فى رواية أحمد بن الحسين وقيل له : طلب العلم فريضة ؟ قال : نعم؛ لأمر دينك وما تحتاجُ إليه من أن ينبغى أن تعلمه .

وقال فى رواية أبى الحارث : يجب عليه أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه ولا يفرط في ذلك ، قلت : فكل العلم يقوم به دينه ؟ قال : الفرض الذى يجب عليه في نفسه لابد له من طلبه . قلت : مثل أى شىء ؟ قال : الذي لا يسعه جهله : صلاته وصيامه ونحو ذلك.

وقال عبد الله : سألت أبى عن الرجل يجب عليه طلب العلم ؟ قال : أما ما يقيمُ به دينه من الصلاة والزكاة ، وذكر شرائعَ الإسلام فقال : ينبغى أنْ يتعلَّم ذلك . وقال ابن منصور لأبى عبد اللّه : تَذاكُرُ بعضِ ليلة أحبُّ إليك من إحيائها ؟ قال : العلم الذى ينتفع به الناس فى أمر دينهم . قلت : الصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا ؟ قال : نعم .

قال ابن منصور : قال لى إسحاق بن راهويه : « طلب العلم واجب » لم يَصِحَّ الخبرُ فيه، إلا أن معناه قائم يلزمه طلب ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إذا وقعت ، فلا حاجة للوالدين فى ذلك . وأما مَنْ خرج يبتغى علماً فلابُدَّ له من الخروج بإذن الأبوين ؛لأنه فضيلة ، فالنوافل لا تُبتغى إلا بإذن الآباء .

وقال المروذى لأبى عبد اللّه : الرجلُ يطلب العلم ويستأذنُ والدته فتأذن له وهو يعلم أنَّ القيامَ أحبُّ إليها ؟ قال : إذا كان جاهلاً لا يدرى كيف يطلق ولا يصلى ، فَطَلَبُ العلم أحَبُّ إلىَّ .

وإن كان قد عرف فالقيام عليها أحب إلىَّ . وروى الخلال عنه أَنَّ رجلا سأله : إنى أطلبُ العلم وإنَّ أمى تمنعنى من ذلك تريدُ حتى أشتغلَ فى التجارة ، قال لى : دَارِهَا وأرْضِهَا، ولا تَدَعِ الطلَبَ .

وقال له رجلٌ غريب عن بلده : طَلَبُ العلم أحبُّ إليك أم أرجع إلى أمى ؟ فقال له : إذا كان طلب العلم مما لابد أنْ تطلبه ، فلا بأس .

وسأله رجل : قدمتُ الساعة وليس أدرى شيئاً ، ما تأمرنى ؟ فقال أبو عبد اللّه : عليكَ بالعلم .

وقال إسحاق بن إبراهيم : سألت أبا عبد اللّه عن الرجل يكون له أبوان موسران يُريدُ طلب الحديث ولا يأذنان له ؟ قال : يطلب منه بقدر ما ينفعه ، العلم لا يَعْدِلُهُ شىء .

وفى « الصحيحين » عن معاوية مرفوعاً : « مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ فى الدين » (١) . وعن عمر مرفوعاً : « إنَّ اللّه يرفع بهذا العلم أقواماً ويَضَعُ به آخرين » (٢). وعن أبى هريرة مرفوعاً : « مَنْ سلك طريقاً يبتغى به عِلْماً سَهَّلَ اللّه له به طريقاً إلى الجنة »(٣) رواهما مسلم.

وقال ابن مسعود : إن أحدكم لم يولد عالماً ، وإنما العلمُ بالتعلم . وقال أيضاً : اغْدُ عالماً أو متعلماً ، ولا تَغْدُ إمعة بين ذلك .

وقال أيضا : اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ، ولا تكن الرابع فتهلِك .

وقال حماد بن حميد عن الحسن : قال أبو الدرداء : كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو مُتَّبِعاً، ولا تكن الخامس فتهلك . قال الحسن : هو المبتدع . قال البيهقى : وروى مثله عن ابن مسعود، وروى مرفوعاً ، وهو ضعيف .

وقال أبو الدرداء : العالم والمتعلم فى الأجر سواء ، وسائر الناس همج لا خيرَ فيهم .

وقال الثورى : عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود : تعلموا فإنَّ أحدكم لا يدرى متى يحتاج إليه .

وقال عبد الرزاق : عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن ابن مسعود قال : عليكم بالعلم قبل أنْ يُقْبَضَ ، وقَبْضُه ذهابُ أهله ، وعليكم بالعلم وإياكم والتنطع والتعمق ، وعليكم بالعتيق ، فإنه سيجىء أقوام يتلون كتابَ اللّه وينبذونه وراء ظهورهم .

وقال الحسن : قال رسول اللّه ﷺ : « إنما مَثَلُ العلماء فى الأرض مثل النجوم فى السماء إذا رآها الناس اقتدوا بها ، وإذا عميت عليهم تحيروا » (٤) .

وعن أبى أمامة مرفوعاً : « فضلُ العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، إنَّ اللّه وملائكته ، وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ الناسِ الخيرَ » رواه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب (٥) .

وعن أبى الدرداء مرفوعاً : « إن العالم ليستغفر له مَنْ فى السماوات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء ، وإنَّ فضلَ العالم على العابد كفضلِ القمر ليلةَ البدر على سائر

---

(١) البخارى فى الاعتصام ، ب قول النبى ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ،وهم أهل العلم» (٧٣١٢) ، ومسلم فى الزكاة ، ب النهى عن المسألة (٩٨/١٠٣٧) .

(٢) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ، ب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (٨١٧/ ٢٦٩) .

(٣) مسلم فى الذكر والدعاء ، ب الحرص على طلب العلم (٣٨/٢٦٩٩) ، وأبو داود فى العلم ، ب الحث على طلب العلم (٣٦٤٣) .

(٤) أحمد ٣/ ١٥٧ عن أنس بن مالك .

(٥) الترمذى فى العلم ، ب ما جاء فى فضل الفقة على العبادة (٢٦٨٥) .

الكواكب ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما وَرَّثُوا العلمَ ؛ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه بنحوه (١) .

وأما ما يذكره بعض الناس : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » فلم أجد له أصلاً ، ولا ذِكْرَ له فى الكتبِ المشهورة المعروفة ولا يَصِحُّ .

وروى الخلال عن أنس رضى اللّه عنه قال : « طلب العلم فريضة » .

وروى ابن شاهين: حدثنا سليمان الأشعث، حدثنا جعفر بن مسافر التنيسى، حدثنا يحيى ابن حسان، حدثنا سليمان بن قَرم : عن ثابت ، عن أنس رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . كلهم ثقات إلا سليمان فإنه مختلف فيه. قال أحمد: لا أرى به بأساً لكنه يفرط فى التشيع، وضَعَّفَهُ ابنُ مَعين، وقال أبو زرعة: ليس بذاك ، وقال أبو حاتم: ليس بالمتين ، وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقال ابن عدى : أحاديثه حِسَانٌ. ورواه حسان بن سياه عن ثابت، لكن حَسَّانَ ضعيف . قال ابن شاهين : وهذا حديث غريب من أصح حديث فى هذا الباب . ورواه ابن ماجه من رواية حفص بن سليمان القارئ وهو متروك عندهم، وفيه : « وواضعُ العلم عند غير أهله كمُقَلِّدِ الخنازيرِ الجوهرَ والذهبَ » (٢) قال ابن عبد البر : هذا حديث ، يُروى عن أنس عن النبى ﷺ من وجوه كثيرة كلها معلولة (٣) ، ولا حجةَ فى شىء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد .

قال الترمذى : حدثنا محمد بن حاتم المؤدب ، حدثنا على بن ثابت ، حدثنا عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان ، سمعت عطاء بن فروة ، سمعت عبد اللّه ، سمعت أبا هريرة : سمعت النبى ﷺ يقول : « الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها ، إلا ذِكْر اللّه وما والاه ، وعالماً ومتعلماً » إسناد جيد ، وعبد الرحمن حديثه حسن قَوَّاهُ الأكثر . وقال الترمذى : حسن غريب(٤) ورواه ابن ماجه من حديثه (٥) .

ورأى ابن الشِّخِّير ابنَ أخ له يَتَعَبَّدُ فقال : أى بُنَىَّ ، فضل العلم أحَبُّ إلىَّ من فضلِ العبادة . وقال مهنا : قلت لأحمد :حدثنا ، ما أفضل الأعمال ؟ قال : طلب العلم ، قلت : لمن ؟ قال : لمن صَحَّتْ نِيَّتُهُ ، قلتُ : وأى شىء يصححُ النية ؟ قال : ينوى يتواضع فيه ، وينفى عنه الجهل .

---

(١) أبو داود فى العلم ، ب الحث على طلب العلم (٣٦٤١) ، والترمذى فى العلم ، ب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢) ، وابن ماجه فى المقدمة ، ب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣) .

(٢) ابن ماجه فى المقدمة ، ب فضل العلماء ، والحث على طلب العلم (٢٢٤) ، عن أنس بن مالك .

(٣) فى المخطوطة : « معلومة » ، والمثبت من أ ، ر ، ط ، وهو أوفق للسياق .

(٤) الترمذى فى الزهد ، ب ما جاء فى هوان الدنيا على الله عز وجل (٢٣٢٢) .

(٥) ابن ماجه فى الزهد ، ب مثل الدنيا (٤١١٢) .

وقال الحسن بن ثواب : قال لى أحمد بن حنبل : ما أعلمُ الناس فى زمان أحوج منهم إلى طَلَبِ الحديث من هذا الزمان . قلتُ : ولِمَ ؟ قال : ظَهَرَتْ بِدَعٌ ؛ فَمَنْ لم يكن عنده حديثٌ وقع فيها .

وقال بشر الحافى : لا أعلمُ على ظهر الأرض عملاً أفضلَ من طلبِ العلم والحديثِ لمن اتقى اللّه وحَسُنَتْ نيته .

وقال سفيان : ما أعلمُ شيئاً يُرادُ اللّهُ به أفضل من طلب العلم . وقد روى عن مجاهد قال: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبيرُ نيةٍ ، ثم رزق اللّه النية بعد . وروى هذا المعنى عن جماعة منهم حبيب بن أبى ثابت وسماك بن حرب (١) .

وقال يزيد بن هارون : طلبنا العلمَ لغيرِ اللّه فأبى أنْ يَرُدَّنَا إلا إلى اللّه .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر قال : كان يقال : إنَّ الرجلَ ليطلبُ العلمَ لغيرِ اللّه فيأبى عليه العلم حتى يكون للّه .

وروى الخلال : أخبرنى حرب ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا يحيى بن يمان (٢) قال : قالوا لسفيان : إنَّ أصحابَ الحديث يطلبون الحديث بغير نية ، قال : طلبهم له نية . إسناده صحيح .

وعن سفيان قال : إنما فُضِّل العالم على غيره ؛ لأنه يتقى ربه ،وعن الحسن قال : يبقى الله لهذا العلم قوما يطلبونه ، ولا يطلبونه خشيةً ، وليس لهم فيه نيةٌ ، يبعثهم اللّه تعالى كى لا يضيع العلم ، فيبقى عليهم حجة .

وعن ابن المبارك قال : ما من شىءٍ أفضل من طلب العلم للّه ، وما من شىءٍ أبغض إلى اللّه من طلب العلم لغير اللّه .

وقال أحمد : حدثنا يونس وسريج (٣) بن النعمان قالا : حدثنا فليح عن عبد اللّه بن

---

(١) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نذار بن معاوية بن حارثة ، الحافظ الإمام الكبير أبو المغيرة الذهلى البكرى الكوفى ، حدث عن ثعلبة بن الحكم الليثى ، وابن الزبير ، والنعمان بن بشير وآخرون ، حدث عنه زكريا بن أبى زائدة ، وحاتم بن أبى صغيرة ، ومالك بن مغول وغيرهم ، اختلف فى توثيقه ، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٧ ــ ٢٤٩] .

(٢) هو الإمام الحافظ الصادق العابد المقرئ ، أبو زكريا العجلى الكوفى روى عن هشام بن عروة ، والمنهال بن خليفة ، وإسماعيل بن أبى خالد وجماعة ، حدث عنه بشر بن الحارث ، وأبو كريب ، وسفيان بن وكيع وغيرهم ، مختلف فى توثيقه توفى سنة تسع وثمانين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥٦ ، ٣٥٧].

(٣) فى المخطوطة : « شريح » ، والمثبت من أبى داود وأحمد .

عبد الرحمن أبى طُوالة ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّهﷺ : «مَنْ تعلَّمَ علماً مما يُبتغى به وجهُ اللّه لا يتعلَّمُهُ إلا ليصيبَ به عَرَضاً من الدُّنيا لم يجدْ عَرْفَ الجنة » (١) . ورواه أبو داود عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن سريج (٢) . فليح وإنْ كان من رجال « الصحيحين » فقد تكلم فيه ابن معين وأبو حاتم والنسائى وغيرهم .

وفى معناه عن ابن عمر مرفوعاً : « من تعلم علماً لغير اللّه أو أراد به غير اللّه فليتبوأْ مَقعدَهُ من النار » رواه الترمذى وقال : حسن غريب (٣) .

وعن جابر مرفوعاً : « لا تعلموا العلمَ لتباهُوا به العلماءَ ، ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحدثوا به فى المجالس ، فَمَنْ فعل ذلك فالنار النار » (٤) رواه جماعة منهم البيهقى ، وانفرد به ابن ماجه عن الكتب الستة فرواه عن محمد بن يحيى ، عن سعيد بن أبى مريم ، عن يحيى ابن أيوب ، عن ابن جريج ، عن أبى الزبير ، عن جابر، ورواه ابن وهب عن ابن جريج مرسلاً . ويحيى بن أيوب ــ هو الغافقى ــ وإن كان من رجال « الصحيحين » فقد تكلم فيه أحمد وأبو حاتم والدارقطنى وابن القطان وغيرهم . وذكر جماعة هذا الخبر من مناكيره .

وعن كعب بن مالك مرفوعاً : « مَنْ طَلَبَ العلمَ ليجارى به العلماء ، أو ليمارى به السفهاء ، ويصرفَ به وجوهَ الناس إليه أدخلهُ اللّه النار » (٥) رواه الترمذى وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بالقوى عندهم .

وفى مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً حديثُ الثلاثة الذين يُؤمَرُ بهم إلى النار : وهم المجاهد المرائى ليقال : إنه جرىء ، والمنفق المباهى ليقال : إنه جواد ، والرجل يقول : تعلمتُ العلم وقرأت القرآن، فيقول اللّه: كذبتَ ، إنما أردتَ أنْ يقالَ : [فلان جرىء] (٦)، وفلان قارئ ، وقد قيل ، ثم يُسْحَبُ على وجهه حتى يُلقى فى النار (٧) .

وعن زيد بن أرقم مرفوعاً كان يقول : « اللهم إنى أعوذُ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا

---

(١) أحمد ٢ / ٣٣٨ ، وأبو داود فى العلم ، ب فى طلب العلم لغير الله تعالى (٣٦٦٤) ، وابن ماجه فى المقدمة ، ب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٢) .

(٢) فى المخطوطة : « شريح » ، والمثبت من أبى داود .

(٣) الترمذى فى العلم ، ب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٢٦٥٥) .

(٤) ابن ماجه فى المقدمة ، ب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٤) ، وقال فى الزوائد : « رجال إسناده ثقات » والدارمى فى المقدمة ، ب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١/ ١١٠ ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى نشر العلم (١٧٧١) ، ابن حبان (٧٧) .

(٥) الترمذى فى العلم ، ب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٢٦٥٤) .

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة ، وهو فى أ ، ر ، ط .

(٧) مسلم فى الإمارة ، ب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٩٠٥/ ١٥٢) .

يخشع ،ونفسٍ لا تشبع ،ودعوةٍ لا يُستجابُ لها » [١] ورواه أبو داود الطيالسى عن حماد بن سلمة، عن قتادة ، عن أنس مرفوعاً ، وفيه : « وعمل لا يرفع » بدل « نفس لا تشبع»[٢].

وكان ابن مسعود يقول : تعلموا ، فمن علمَ فليعملْ . وكان يقول: إنى لأحسبُ أنَّ الرجل ينسى العلمَ للخطيئةِ يعملها.

وعن الأعمش عن سعيد بن عبد اللّه بن جريج ، عن أبى برزة مرفوعاً : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » [٣] إسناده جيد ، وسعيد روى عنه غير واحد ووثقه ابن حبان ولا وجه لقول أبى حاتم : مجهول . وروى حديثه هذا الترمذى ، وقال : حسن صحيح ، وروى البيهقى هذا المعنى من حديث معاذ [٤] .

وقال ابن وهب : أخبرنى يحيى بن أبى سليم ، وفى نسخة : سلام ، عن عثمان بن مقسم ــ وهو كذاب متروك عندهم ــ عن المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّهﷺ : «أشَدُّ الناسِ عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه اللّه بعلمه» [٥] .

وأما ما روى الطبرانى والبيهقى وغيرهما من حديث ابن المبارك ، عن الثورى ، عن سماك ابن حرب ، عن ثعلبة بن الحكم ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يقول اللّه تعالى للعلماء يوم القيامة : إنى لم أجعلْ حكمى وعلمى فيكم إلا وأنا أريدُ أنْ أغفرَ لكم على ما كان منكم ولا أبالى » [٦]. فالظاهر أنه غير صحيح وتدل عليه الأخبار السابقة ، ولو صَحَّ فالمرادُ به العلماء الأخيار . وقد قال البيهقى : ولا أراه محفوظاً .

وروى ابن عدى والبيهقى وغيرهما من رواية صدقة بن عبد اللّه ، عن طلحة بن زيد ــ وهو كذاب متروك بالاتفاق ــ عن موسى بن عبيدة ، عن سعيد بن أبى هند ، عن أبى موسى الأشعرى مرفوعاً : « يقول اللّه تعالى يوم القيامة للعلماء : إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلمى بكم ، ولم أضع علمى فيكم لأعذبكم ، انطلقوا فقد غفرت لكم » .

وقال: «يقولُ اللّه عز وجل: لا تحقروا عبداً آتيتهُ علماً، فإنى لم أحقره حين علمته »[٧].

---

(١) مسلم فى الذكر والدعاء ، ب التعوذ من شر ما عمل (٢٧٢٢/ ٧٣) .
(٢) أبو داود الطيالسى فى مسنده (٢٠٠٧) .
(٣) الترمذى فى صفة القيامة ، ب فى القيامة (٢٤١٧) .
(٤) البيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى نشر العلم (١٧٨٥) .
(٥) الطبرانى فى الصغير ١/ ١٨٣، والهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٩٠ ، وقال : « فيه عثمان البرى قال الفلاس : صدوق ، لكنه كثير الغلط ، صاحب بدعة ، ضعفه أحمد والنسائى والدارقطنى » .
(٦) الطبرانى فى الكبير (١٣٨١) ، والترغيب والترهيب للمنذرى ، فضل من تعلم العلم وعلمه ١/ ١٠١ ، والدر المنثور ١/ ٣٥٠ .
(٧) ابن عدى فى الكامل ٤/ ١١١ ، والدر المنثور ١/ ٣٥٠ .

قال ابن عدى : هذا الحديث بهذا الإسناد باطل ، وذكره فى ترجمة طلحة بن زيد . قال البيهقى : وإنما يعرف بعض هذا عن أبى عمرو الصنعانى قال : « إذا كان يوم القيامة عزلت الملائكة العلماءَ ، فإذا فرغ من الحساب قال : لم أجعل حكمى فيكم إلا خيراً أريده فيكم ؛ ادخلوا الجنةَ بما فيكم » (١) .

وقال ابن المبارك : إذا لم يكن عند الرجل مالٌ ، فليس عليه واجباً أن يتعلم الزكاة ، فإذا كان عنده مئتا درهم ، وجب عليه أن يتعلم كيف يخرج وأين يضع، وسائر الأعمال على هذا.

وعن عطاء قال : مَنْ جلس مجلساً للذكر كفَّر سبعين مجلساً من مجالس الباطل ، فإن كان ذلك المجلس فى سبيل اللّه يكفر سبعين ألفاً من مجالس الباطل .

قال عطاء : ومجالس الذكر : كيف أصلى كيف أزكى كيف أحج كيف أنكح ، كيف أطلق ، كيف أبيع ، كيف أشترى ؟ .

وقال إسحاق بن إبراهيم لأبى عبد اللّه : إنَّ قوماً يكتبون الحديثَ ولا أرى أثره عليهم ولا يرى لهم وقار ، فقال أبو عبد اللّه : يؤولون فى الحديث إلى خير . وقال : دخلت عليه يوماً ومعى كتاب له فرميتُ به من قامتى ، فانتهرنى وقال : ترمى بكلام الأبرار ؟! .

وقال الشعبى : زَيْنُ العلم حلمُ أهلِه . وقال أيضاً : إن هذا العلم لا يصلح إلا لمن فيه عقلٌ ونُسكٌ ، فاليوم يطلبه مَنْ لا عقلَ له ولا نسك فيه .

وقال ابن وهب : عن الثورى ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : لم نر شيئاً إلى شىء أزينَ من حلمٍ إلى علم .

وقال أبو داود لأحمد : كتبتَ الحديث بنية ؟ قال : شرط النية شديد ولكن حُبِّبَ إلىَّ فجمعته . وقال عبد اللّه : سألت أبى عن رجل ملك خمسمائة درهم وهو رجل جاهل ، أيحج بها أو يطلب العلم ؟ قال : يحجُّ ؛ لأن الحج فريضة ، وينبغى له أن يطلب العلم .

وقال المروذى : قيل لأبى عبد اللّه : رجل له خمسمائة درهم : ترى أن يصرفه فى الغزو والجهاد أو يطلب العلم ؟ قال : إذا كان جاهلاً يطلب العلم أحب إلى.

وقال فى رواية يوسف بن موسى : عجبت لمن يتثبط عن طلب العلم ، ويحتجون بالفُضَيل ، ولعل الفضيل قد اكتفى ؛ ليس يَتَثَبَّطُ عن طلب العلم إلا جاهل .

---

(١) الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/١٢٦ ، ١٢٧ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه عبيدة بن موسى الربذى ، وهو ضعيف جدا » .

وقال الربيع : سمعت الشافعى يقول : طَلَبُ العلم أفضل من صلاة النافلة .

وذكر البيهقى : قال مُطَرِّفُ بن عبد اللّه بن الشِّخِّير : فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة ، وخيرُ دينكم الورع (١) ، وروى مرفوعاً بأسانيد ضعيفة وهو صحيح عن مطرف ذكره البيهقى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن مطرف قال : حَظٌّ من علم أحبُّ إلىَّ من حظ عبادة (٢) ، سمعت ابن عباس يقول : مذاكرةُ العلم ساعةً أحب إلىَّ من إحياء ليلة ، وروى من طريق آخر عن ابن عباس مثله (٣) .

وقال ابن وهب : أخبرنى عتبة بن نافع عن زيد بن أسلم أن ابن مسعود كان يقول : لأنْ أجلسَ مجلسَ فقهٍ ساعةً أحبُّ إلىَّ من صيام يومٍ وقيام ليلة .

وقال الأوزاعى : سأل رجل ابن مسعود : أى الأعمال أفضل ؟ قال : العلم ، فكرر عليه ثلاثاً كل ذلك يقول العلم ، ثم قال : ويحك إنَّ مع العلمِ باللّه ينفعك قليلُ العمل وكثيرهُ ، ومع الجهلِ باللّه لا ينفعك قليلُ العمل ولا كثيره .

وقال أبو نضرة عن أبى سعيد : مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى : ما عُبد اللّهُ بمثل الفقه ، ذكر ذلك البيهقى(٤) .

وقال البخارى فى « التاريخ » فى ترجمة عمرو بن مرة : قال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، سمعت الأعمش ، حدثنى عمرو بن مرة ، سمعت أبا عبيدة قال : قال أبو موسى: لمقعدٌ كنتُ أقعده من عبد اللّه أحبُّ إلىَّ من عمل سنةٍ فى نفسى . وكان يحيى يقول فيه : سمعت أبا موسى فلم يقله لنا، وقال يَعْلَى: عن الأعمش، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن أبى موسى (٥) .

وهذا إنما قاله لما يحصل له من علمه وهديه وسمته .

قال ابن شهاب : العلم أفضل من العمل لمن جهل ، والعمل أفضل من العلم لمن علم .

وقال حرب : سمعت أحمد يقول : الناسُ محتاجون إلى العلم قبل الخبز والماء ؛ لأن العلم يحتاج إليه الإنسان فى كل ساعة ، والخبز والماء فى اليوم مرة أو مرتين .

---

(١) البيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى فضل العلم وشرفه (١٧٠٦) .
(٢) عبد الرزاق فى مصنفه ، ب العلم (٢٠٤٦٨) .
(٣) عبد الرزاق فى مصنفه ، ب العلم (٢٠٤٦٩) .
(٤) عبد الرزاق فى مصنفه ، ب العلم (٢٠٤٧٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى فضل العقل (٤٦٩٧).
(٥) البخارى فى التاريخ الكبير (٢٦٦٢) .

وقال ابن هانئ : قيل له : يطلب الرجلُ الحديثَ بقدر ما يظن أنه قد انتفع به ؟ قال : العلم لا يعدله شيء .

وقال فى رواية المروذى : ليس قوم عندى خيراً من أهل الحديث ليس يعرفون إلا الحديث، وقال فى رواية أبى الحارث : أهل الحديث أفضل مَنْ تكلم فى العلم .

وقال أبو إسماعيل الترمذى : سمعت أحمد وقال له رجل : إن رجلاً قال : إن أصحاب الحديث قوم سوء ، فقال : هذا زنديق .

وقال الثورى : أكثروا من الحديث ؛ فإنه سلاح .

وقال ابن المبارك : إنى لأسمعُ الحديثَ ما أريد أن أحدث به ولا أعمل به ولكن أُعدُّه لأخٍ من إخوانى يقع فى الشيء فأجد له مخرجاً .

وقيل لأحمد : إلى متى يكتب الرجل ؟ قال : حتى يموت ، وقال : نحن إلى الساعة نتعلم .

وللترمذى من حديث أبى سعيد : وقال حسن غريب : « لن يشبعَ المؤمنُ من خبر يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة » (١) .

وروى الخلال بإسناد صحيح عن عمر قال : تفقهوا قبل أن تسودوا . وذكره البخارى تعليقاً بصيغة الجزم (٢) ، قال الخطابى (٣) فى كتاب « العزلة » : يريد من لم يخدم العلم فى صغره يستحى أن يخدمه بعد كبر السن وإدراك السؤدد . قال : وبلغنى عن سفيان الثورى (٤) رحمه اللّه قال : مَنْ ترأس فى حديثه كان أدنى عقوبته أنْ يفوته حظٌّ كثيرٌ من العلم . وعن أبى حنيفة رحمه اللّه قال : من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل فى ذلٍ ما بقى .

---

(١) الترمذى فى العلم ، ب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٦) .

(٢) البخارى فى العلم معلقا (الفتح ١/ ١٦٥) .

(٣) هو فاروق بن عبد الكبير بن عمر المحدث المعَّمر ، مسند البصرة ، أبو حفص الخطابى البصرى ، سمع هشام بن على السيرافى ، وعبد الله بن أبى قريش وطائفة ، حدث عنه الذكوانى ، وأحمد بن محمد بن الصقر البغدادى وغيرهما ، وما به بأس ، توفى سنة إحدى وستين وثلثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٠ ، ١٤١] .

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أُبى بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور ينتهى نسبه إلى معد بن عدنان ، ولد سنة سبع وتسعين، حدث عن إبراهيم بن عبد الأعلى وإبراهيم بن عقبة ، وإبراهيم بن مهاجر وخلق كثير ، حدث عنه الأعمش ، وخصيف ، وابن جريج وخلق كثير ، ثقة صدوق ، مات سنة ست وعشرين ومائة . [سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩ ــ ٢٧٩] .

وقيل للمبرد: لِمَ صار أبو العباس ــ يعنى ثعلباً ــ أحفظ منك للغريب والشعر ؟ قال: لأنى ترأست وأنا حدث ، وترأس وهو شيخ . انتهى كلام الخطابى .

وروى البيهقى قولَ عمر المذكور من حديث وكيع ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين، عن الأحنف بن قيس ، عنه . قيل : معناه قبل أن تزوجوا [1] . وقال الشافعى : إذا ترأستَ فلا سبيلَ إلى التفقه .

وروى الحاكم فى « تاريخه » عن زفر ، قال : قال لى أبو حنيفة : يا زُفَرُ لا تحدث قبل وقتك فَيُسْتَخَفَّ بك .

وروى الخلال عن أيوب قال : ينبغى للعالم أن يضعَ الترابَ على رأسه تواضعاً للّه .

وقال المروذى: قيل لأبى عبد اللّه: قيل لابن المبارك : كيف تعرف العالم الصادق ؟ قال: الذى يزهد فى الدنيا ، ويقبل على آخرته . فقال أبو عبد اللّه : نعم هكذا يريد أن يكون.

وقال الفضيل [2]: يُغْفَرُ لسبعين جاهلاً قبل أنْ يُغفرَ لعالم واحد . وقال أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة : سمعت فضيل بن عياض قال : يغفر لجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

وقال أحمد أيضاً : حدثنا سيار بن حاتم : حدثنا جعفر بن سليمان [3] ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إنَّ اللّه يعافى الأميين يوم القيامة ما لا يعافى العلماء». وذكر الحافظ الذهبى هذا الخبر فى ترجمة جعفر من المناكير [4] . قال : وقيل أخطأ مَنْ حَدَّثَ به عن جعفر . وسيار وَثَّقَهُ ابن حبان وغيره . وقال الأزدى : عنده مناكير . قال البيهقى : محمولٌ إنْ صَحَّ على العالِم الفاجر .

---

(١) البيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى طلب العلم (١٦٦٩) .

(٢) فضيل بن عياض الخولانى ، روى عن على بن أبى طالب فى الحث على العلم ، وعنه عبد الكريم بن مالك الجزرى . قاله الحارث بن عبد الله الحارثى عن محمد بن زياد عن عبد الكريم ، ولم يذكره الخطيب فى المتفق والمفترق. [سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٩ ، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٧، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٦١].

(٣) جعفر بن سليمان أبو سليمان الضبعى البصرى الشيخ العالم الزاهد محدث الشيعة ، حدث عن أبى عمران الجونى، وثابت البنانى ،ومالك بن دينار، وغيرهم،حدث عنه سيار بن حاتم ، وعبد الرزاق ، ومسدد بن مسرهد وغيرهم ثقة فيه ضعف، توفى سنه ثمان وسبعين ومائة. [سير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٧ ــ ٢٠٠].

(٤) الذهبى فى ميزان الاعتدال ١/ ٤١١ ، وكنز العمال (٢٨٩٨٤) .

ونقل المروذى عن أحمد قال : العالم يُقْتَدَى به ، ليس العالم مثل الجاهل . وهذا معنى ما روى عن ابن المبارك وغيره . ونقل عن أحمد أيضاً : أنه قيل له : من نسأل بعدك ؟ فقال : عبد الوهاب ــ يعنى الوَرَّاق ــ فقيل : إنه ضيق العلم ، فقال : رجلٌ صالح مثله يُوَفقُ لإصابةِ الحق .

وقال ابن عقيل فى « الفنون » : لا ينبغى الخروج من عادات الناس إلا فى الحرام ، فإن الرسول ﷺ ترك الكعبة ، وقال : « لو لا حدثانُ قومك بالجاهلية » (١) وقال عمر : لولا [أنْ يُقالَ : عمر زاد فى القرآن] (٢) ،لكتبتُ آيةَ الرجم . وترك أحمد الركعتين قبل المغرب لإنكار الناس لهما ، وذكر فى « الفصول » عن الركعتين قبل المغرب : وفعل ذلك إمامنا أحمد ثم تركه، واعتذر بتركه بأنْ قال : رأيتُ الناسَ لا يعرفونه . وكره أحمد قضاءَ الفوائتِ فى مصلَّى العيد ، وقال : أخافُ أنْ يقتدى به بعض مَنْ يراه .

وروى البيهقى وغيره من طريق شعيب ، عن نافع ، عن أسلم : أن عمر رأى على طلحة ثوباً مصبوغاً فقال : ما هذا ؟ قال : إنما هو مدر (٣) ، فقال: إنكم أيها الرهط أئمةٌ يقتدى بكم الناسُ ، وإن جاهلاً لو رأى هذا لقال : على طلحةَ ثوبٌ مصبوغٌ ؛ فلا يلبس أحدٌ منكم من هذه الثيابِ شيئاً إنه محرم (٤) . وقال الأوزاعى : كنا نمزح ونضحك ، فلما صرنا يُقْتَدَى بنا خشيتُ ألاَ يسعنا التبسم . وقال الثورى : لو صلح القُرَّاءُ لصلحَ الناسُ . وقال أيضاً : يعجبنى أنْ يكون صاحب الحديث مَكْفيا ؛ لأنَّ الآفاتِ أسرع إليهم ، وألسنة الناس إليهم أسرع، وإذا احتاج ذل .

وقال أبو داود السِّجِسْتانى : مَن اقتصر على لباسٍ ومطعم دُونٍ أراحَ جسده .

وقال الأعمش عن زيد بن وَهْب : رأيت بين كتفى عمر أربع عشرة رقعة بعضها من أدم.

وقال مالك : عن إسحاق بن عبد اللّه ، عن أنس : رأيت عمر رضى اللّه عنه وهو يومئذ أميرُ المؤمنين قد رقعَ بين كتفيه ثلاثَ رقاعٍ لَبَّدَ بعضها فوقَ بعض .

وقال سليمان بن حَرْب : لو نظرتَ إلى ثياب شُعبة لم تكن تسوى عشرة دراهم . إزاره ورداؤه وقميصه . كان شيخاً كثيرَ الصدقة .

---

(١) البخارى فى الحج ، ب فضل مكة وبنيانها (١٥٨٤) ، ومسلم فى الحج ، ب نقض الكعبة وبنائها (٣٩٩/١٣٣٣) .

(٢) سقط من المخطوطة ، وهو فى أ ، طـ ، ر .

(٣) المدر : الطين اليابسى .

(٤) البيهقى فى الكبرى فى الحج ، ب من كره لبس المصبوغ بغير طيب فى الإحرام ٥/ ٦٠ .

وقال علىّ بن ثابت : رأيت الثورى فى طريق مكة فَقَوَّمْتُ كُلَّ شىءٍ عليه حتى نعله درهماً وأربعة دوانيق .

وقال الثورى : ينبغى لحامل القرآن أنْ يُعْرَفَ بليله إذِ الناسُ نائمون ، ونهاره إذِ الناسُ مفطرون ، وبكائه إذ الناس يضحكون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون .

وقال الثورى : العالمُ طبيبُ هذه الأمة ، والمالُ الداءُ ؛ فإذا كان الطبيب يجر الداءَ إلى نفسه كيف يعالجُ غيرَهُ ؟ .

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال : يا معشرَ الحواريين ، ارْضَوا بِدَنِىِّ الدنيا مع سلامةِ الدين كما رضىَ أهلُ الدنيا بدنى الدِّين مع سلامة الدنيا .

وروى ابن بطة عن عمر أنه كتب إلى أبى موسى : إنَّ الفقه ليس بسعة الهَذَر وكثرة الرواية، إنما الفقه خشية اللّه . وروى أيضاً عن أبى حازم قال : لا يكونُ العالم عالماً حتى يكون فيه ثلاث خصال : لا يحقر مَنْ دونه فى العلم ، ولا يحسُد مَنْ فوقه ، ولا يأخذ على عمل دنيا . وروى أيضاً عن الحسن قال : الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة محمد ﷺ الذى لا يسخر بمن أسفل منه ولا يهزأ بمَنْ فوقه ولا يأخذ على عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللّهُ عز وجل حُطاماً . وقال أيضاً : ما رأيت فقيهاً قط .

وروى البيهقى عنه : كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أنْ يُرَى ذلك فى تَخَشُّعِه وهَدْيِه ولسانه وبصره ويده . وقال ابن المبارك عن مالك بن دينار : سألت الحسن : ما عقوبة العالم ؟ قال : موت القلب ، قلت : وما موتُ القلب ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة .

وقال الأوزاعى : بلغنى أنه يقال : ويلٌ للمتفقهين لغير العبادة ، والمُسْتَحِلِّينَ المحرمات بالشبهات . وقال : إن حقا على مَنْ طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينة وخشية ، وأنْ يكونَ مُتَّبِعاً لأثر من مضى قبله . وقال الربيع : سمعت الشافعى يقول : أخشى أنْ أطلب العلم بغير نية ألا ينتفع به .

وقال الشافعى رضى اللّه عنه : زينة العلم: الورع والحلم . وقال أيضاً : لا يَجْمُل العلم ولا يحسن إلا بثلاث خلال : تقوى اللّه ، وإصابة السنة ، والخشية ، وقال أيضاً : ليس العلم ما حُفظ ، العلم ما نفع . وقال أبو قِلاَبَةَ لأيوب : إذا حدثَ لك عِلْمٌ فأحدث فيه عبادة ، ولا يكُنْ همك أنْ تُحَدِّث به الناسَ .

وقال أحمد بن محمد : سمعت وكيعاً يقول : قالت أم سفيان الثورى : اذهب فاطلب العلم حتى أعولَكَ أنا بمغزلى ، فإذا كتبتَ عشرةَ أحاديث فانظر هل فى نفسك زيادة فابتغِه ، وإلا فلا تتعنى .

وقال الفضيل بن عياض : بلغنى أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تَعَلَّمُوا عَمِلُوا ، وإذا عملوا شغلوا ، وإذا شغلوا فقدوا ، وإذا فقدوا طلبوا ، وإذا طلبوا هربوا .

وقال عمر : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينةَ والحلم ، وتواضعوا لمن يُعَلِّمُكُم ، وتواضعوا لمن تُعَلِّمُون ، ولا تكونوا من جَبَّارى العلماء ؛ فلا يقوم عملكم مع جهلكم (١) . وقالت عائشة : تغفلون عن أعظم العبادة : التواضع . وقال الشعبى : اتقوا الفاجرَ من العلماء، والجاهل من المتعبدين ؛ فإنهما آفة كل مفتون . وقال الثورى : نَعوذُ باللّه من فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ؛ فإنَّ فتنتهما فتنةٌ لكل مفتون . ذكر ذلك البيهقى .

وقال الفضيل بن عياض رحمه اللّه : إن اللّه يحب العالم المتواضع، ويبغض العالم الجبار. ويأتى الخبر فى فصول كسب المال فى الأئمة المضلين .

وعن كثير بن عبد اللّه بن عمرو بن عوف المزنى ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً : « إنى أخافُ على أمتى من بعدى زلة العالم ، ومن حكم جائر ، وهوىً متبع » (٢) وفى لفظ بهذا الإسناد : « اتقوا زَلَّةَ العالم وانتظروا فَيْئَتَهُ »(٣) ، كثيرٌ : كذابٌ متروك ، وهذا مذكور فى ترجمته ، وقد صحح له الترمذى .

وعن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً : « إنَّ أشَدَّ ما أتخوفُ على أمتى ثلاث : زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطعُ أعناقكم ، فاتهموها على أنفسكم»(٤) يزيد ضعيف ولم يترك .

وقال داود بن أبى هند : قال عمر بن الخطاب : يفسد الناس ثلاثة : أئمة مضلون ، وجِدالُ منافقٍ بالقرآن ــ والقرآنُ حق ــ وزلة العالم .

وقال منصور عن شقيق ، عن أبى الدرداء رضى اللّه عنه : إنى لآمركم بالأمر وما أفعله ، ولكنْ لعلَّ اللّه أنْ يأجرنى فيه . قال البيهقى : محمولٌ على المستحبات ، أو أنه قاله على وجه التواضع .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا الصعق بن حزن ، عن عَقيل الجَعْدى ، عن أبى إسحاق، عن سُوَيْد بن غَفَلَة ، عن ابن مسعود قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يا عبد اللّه ، أتدرى أى

---

(١) البيهقى فى الشعب ، ب فى نشر العلم (١٧٨٩) .

(٢) البزار فى كشف الأستار، ب زلة العالم وحكم الجائر (١٨٢) ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ، ب ما يخاف على الأمة من زلة العالم وجدال المنافق وغير ذلك ١/ ١٩٢ ، وقال: « رواه البزار ، وفيه كثير بن عبد الله ابن عوف وهو متروك وحسن له الترمذى » .

(٣) ميزان الاعتدال للذهبى فى ترجمة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ٣/ ٤٠٧ .

(٤) البيهقى فى شعب الإيمان ، ب الزهد وقصر الأمل (١٠٣١١) .

الناس أعلم ؟ » قلتُ : اللّه ورسوله أعلم ، قال : « فإنَّ أعلمَ الناس أعلَمُهم بالحق إذا اختلف الناسُ وإنْ كان مُقَصِّراً فى العمل ، وإن كان يَزْحَفُ على استِه » (١) . قال البخارى فى عقيل: منكر الحديث ، يروى عن أبى إسحاق ، وتكلم فيه ابن حبان ، وقال البيهقى : غير معروف . قال : ويمكن إجراء الخبر على ظاهره ؛ ويكون تركه العمل زلة منه تنتظر فيئته.

[ولما حج سَلْمِ الخواص (٢) ، لقىَ ابنَ عيينة فى السوق ، فأنكر عليه كونه فى السوق ، فأنشد ابن عيينة :] (٣)

فَخُذ بعلمي وإنْ قَصَّرْتُ في عملي ... يَنْفَعْكَ علمي ولا يَضْرُرْكَ تقصيري

وأما قول بعض المتأخرين :

خُذْ من علومى ،ولا تنظرْ إلي عَمَلى ... واقصدْ بذلك وجهَ الواحدِ البارى

وإنْ مَرَرْتَ بأشجارٍ لها ثَمَرٌ ... فاجْنِ الثمارَ ، وخَلِّ العودَ للنارِ

فالمراد : إذا كان أهلاً لأخذ العلم عنه ، ولكنه مقصر فى العمل ، وإلا كان مردوداً على قائله .

وقال فى « الرعاية » فى كتاب الجهاد : ومَنْ لزمه تَعَلُّمُ شىءٍ ــ وقيل : أو كان فى حقه فرض كفاية ، وقيل : أو نفلاً ، ولا يحصل له فى بلده ــ فله السفرُ فى طلبه بغير إذنِ أبويه وبقية أقاربه ، انتهى كلامه . وكلام أحمد السابق فى رواية إسحاق بن إبراهيم يدل لهذا القول، وغيرها عن أحمد يخالفها .

قال القاضى : ومما يجبُ إنكاره تَرْكُ التعليم والتعلم لما يجبُ تعليمُه وتَعَلُّمُهُ نحو ما يتعلق بمعرفة اللّه تعالى وبمعرفة الصلوات وجملة الشرائع ، وما يتعلق بالفرائض . ويلزم النساء الخروج لتعلم ذلك . وقد قال النبى ﷺ فى الصبيان : « واضربوهم على تَرْكِهَا لعشر » (٤) فأوْلى أنْ يُضْرَبَ المُكَلَّفُ على تَعَلُّمِ ذلك .

---

(١) أبو داود الطيالسى فى مسنده (٣٧٨) .

(٢) سَلْم بن ميمون الخواص هو أصغر من سليمان الخواص ، حدث عن مالك ، والقاسم بن معن ، وسفيان ابن عيينة ، وروى عنه أحمد بن ثعلبة ، وعمرو بن أسلم الطرسوسى ، وغيرهما ، قال أبو حاتم : أدركته، وكان مرجئاً لا يكتب حديثه ، بقى إلى ما بعد سنه ثلاث عشرة ومائتين . [سير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٩ ، ١٨٠].

(٣) سقط من المخطوطة ، وهو فى أ ، ر ، ط وجاء فى ر : « لما حج سالم » والصحيح سَلْم .

(٤) الترمذى فى أبواب الصلاة ، ب ما جاء متى يؤمر الصبى بالصلاة (٤٠٧) وقال : « حديث حسن صحيح»، والدارمى فى الصلاة ، ب متى يؤمر الصبى بالصلاة ١/ ٣٣٣ .

وواجب على الإمام أن يتعاهد المعلم والمتعلم كذلك ، ويرزقهما من بيت المال ؛ لأن فى ذلك قواماً للدين ، فهو أولى من الجهاد ؛ لأنه ربما نشأ الولدُ على مذهبٍ فاسد فيتعذر زواله من قلبه .

وروى البيهقى من حديث الثورى : عن منصور ، عن رِبْعِى ، عن علىٍّ : ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ [التحريم: ٦] . قال : علموهم الخير (١) .

وقد روى الخلال فى أخلاق الإمام أحمد أنه قال : خرجتُ إلى الكوفة فكنتُ فى بيتٍ تحت رأسى لَبِنَةٌ فَحُمِمْتُ ، فرجعتُ إلى أمى ولم أكُنْ استأذنتها .

وقال الفضيل : العلماء ربيع الناس ، إذا رآهم المريض لا يشتهى أن يكون صحيحاً ، وإذا رآهم الفقير لا يشتهى أن يكون غنياً .

وعن الشعبى قال : شِرَارُ كل ذى دِيْنٍ علماؤهم ، غير المسلمين .

وروى الخلال : أنبأنا محمد ، حدثنا وكيع عن المسعودى ، عن القاسم قال : قال عبد اللّه : كفى بخشية اللّه علماً ، وبالاغترار باللّه جهلاً .

وعن أبى الدرداء قال : لا يكونُ الرجلُ عالماً حتى يكونَ به عاملاً .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « ما سمعت النبىَّ ﷺ يسبُ أحداً إلا إلى الدين » رواه أبو داود (٢) .

وعن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه قال : لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم . رواه الخلال .

وروى ابن ماجه والبيهقى وغيرهما من رواية معاوية بن سَلَمَة البصرى عن نهشل ــ وهو كذاب متروك عندهم ــ عن الضحاك ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال : لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم أتوا به أهلَ الدنيا فاستخفوا بهم. سمعت نبيكم ﷺ يقول : « مَنْ جعل همومه همّاً واحداً كفاه اللّه سائر همومه ، ومَنْ تشعبت به الهمومُ وأحوالُ الدنيا لم يبال اللّه فى أى أوديتها هلك » (٣) .

---

(١) البيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى حقوق الأولاد والأهلين (٨٧٠٤) .

(٢) أبو داود فى الأدب ، ب فى صلاة العتمة (٤٩٨٧) من طريق زيد بن أسلم ، وهو لم يسمع عائشة .

(٣) ابن ماجه فى المقدمة ، ب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٧) ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، ب فى نشر العلم (١٨٨٨) ، والعقيلى فى الضعفاء ٥٨/٧ ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، ب من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله فى شىء ١٢٣/٤ .

وفى حواشى تعليق القاضى أبى يعلى ، ذكر المدائنى فى كتاب « السلطان » عن علىٍّ رضى اللّه عنه قال : لو أنَّ حَمَلَةَ العلم حملوه بحقه ، لأحبهم اللّه عز وجل وملائكته وأهل طاعته من خلقه ، ولكن حملوه لطلب الدنيا فمقتهم اللّه وهانوا على الناس .

وقال مالك : وجه إلىَّ الرشيدُ أنْ أُحَدِّثَهُ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنَّ العلم يُؤْتَى ولا يأتى . فصار إلى منزلى فاستند معى على الجدار ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنَّ مِنْ إجلالِ اللّه إجلالَ ذى الشيبة المسلم ، فقام فجلس بين يدى ، فقال بعد مدة : يا أبا عبد اللّه ، تواضعنا لعلمكَ فانتفعنا به ، وتواضعَ لنا علْمُ سفيانَ بن عيينة فلم ننتفع به . وروى نحو ما روى عن مالك ، عن سليمان بن حرب [1] مع طاهر بن عبد اللّه .

وروى أن طاهر بن عبد اللّه كان ببغداد فطمعَ أنْ يسمعَ من أبى عبيد ، وطمعَ أنْ يأتيه فى منزله ، فلم يفعل أبو عبيد ، فقدم علىّ بن المدينى [2] وعباس العنبرى فأرادا أنْ يسمعا غريبَ الحديثِ ، فكان يحملُ كُلَّ يومٍ كتابَهُ ويأتيهما فى منزلهما فيحدثهما فيه .

وروى البيهقى وغيره أنَّ المهدى لما قدم المدينةَ حاجّاً جاءه مالك فسلَّمَ عليه ، فأمر المهدىُّ ابنيه موسى الهادى وهارون الرشيد أن يسمعا منه فطلباه إليهما فامتنعَ ، فعاتبه المهدى فى ذلك، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ للعلم نضارة ، يُؤْتى أهلُه . وفى رواية : العلم أهلٌ أنْ يُوَقَّرَ ويُؤتى أهلهُ ؛ فأمرهما والدهما بالمصيرِ إليه ، فسأله مؤدِّبُهُما أن يقرأ عليهما فقال : إن أهل هذه البلدة يقرؤون على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم ، فإذا أخطؤوا أفتاهم . فرجعوا إلى الخليفة ، فعاتبه المهدى فى ذلك فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعت ابن شهاب يقول : سمعنا هذا العلم من رجالٍ فى الروضة ، وهم يا أمير المؤمنين: سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم بن محمد وسالم بن عبد اللّه وخارجة بن زيد [3] وسليمان بن يسار ونافع مولى ابن

---

(١) هو سليمان بن حرب بن بجيل ، الإمام الثقة الحافظ شيخ الإسلام أبو أيوب الواشحى الأزدى البصرى قاضى مكة ، حدث عن شعبة ، وحوشب بن عقيل ، والأسود بن شيبان وغيرهم ، وعنه البخارى ، وأبو داود ، والحميدى ، وغيرهم ، ثقة صدوق مأمون ، ولد فى صفر سنة أربعين ومائة ، ومات بالبصرة فى ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٠ ــ ٣٣٤] .

(٢) هو الشيخ الإمام الحجة أمير المؤمنين فى الحديث ، أبو الحسن ، على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدى مولاهم البصرى ، سمع حماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان ، ويزيد بن زريع وخلقاً كثيراً ، حدث عنه أحمد بن حنبل ، وأبو عبد الله البخارى ، وأبو داود وغيرهم ، ولد سنه إحدى وستين ومائة بالبصرة صاحب التصانيف الجمة ، ثقة محدث ، مات فى ذى العقدة سنه أربع وثلاثين ومائتين . [سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١ ــ ٦٠] .

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت ، الفقيه ، الإمام ابن الإمام ، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام ، أبو زيد الأنصارى، والبخارى المدنى ، حدث عن أبيه ، وعمه يزيد ، وأسامة بن زيد ، وغيرهم ، وروى عنه ابنه سليمان ، وابن أخيه سعيد بن سليمان، وسالم أبو النضر وغيرهم ، تابعى ثقة ، مات سنه تسع وتسعين . [سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٧ ــ ٤٤١] .

عمر وابن هرمز ، ومنْ بعدهم : أبو الزناد وربيعة ويحيى بن سعيد وابن شهاب كل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يَقْرَؤونَ ، فقال المهدى : فى هؤلاء قدوة ، صيروا إليه فاقرؤوا عليه ، ففعلوا .

وقال سفيان بن عيينة : لو أنَّ أهل العلم طلبوه لما عِنْدَ اللّه لَهَابَهُمُ الناسُ ، ولكن طلبوا به الدنيا فهانوا على الناس .

وقال سفيان : ما زال العلم عزيزاً حتى حُملَ إلى أبواب الملوك ، وأخذوا عليه أجراً فنزع اللّه الحلاوة من قلوبهم ، ومنعهم العمل به . قال ابن الجوزى : ينبغى للعالم أنْ يصونَ العلم ولا يبذله ولا يحمله إلى الناس ، خصوصاً إلى الأمراء .

وروى عن القاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى [1] أنه أنشد لنفسه :

يقولــون لى: فيــكَ انقباضٌ وإنما ... رأوا رجـلاً عن موقف الذُّلِّ أحجما
أري الناسَ مَنْ دَانَاهُمْ هانَ عندَهُمْ ... ومَنْ أكرمتــه عــزَّةُ النفس أُكْرِمَا
ولم أقضِ حَقَّ العلم إن كان كلما ... بدا طَمَــعٌ صَيَّرتُه لــــىَ سُلَّما
[وما كلُّ بَرْقٍ لاحَ لى يَستفزُّنى ... ولا كلُّ مَنْ فى الأرض أرضاه مُنعما] [2]
إذا قيلَ: هذا منهلٌ ، قلتُ: قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحر تحتملُ الظَّمَا
ولم أبتذلْ فى خدمَةِ العلم مُهْجَتِى ... لأَخْــدُمَ مَنْ لاقيت ، لكن لأُخْدَما
أأشقى به غَرْساً وأجنيه ذِلَّةً ؟! ... إذاً فاتِّبــاعُ الجهــلِ قَدْ كان أحزما
ولــو أنَّ أهلَ العلم صانوه صانَهُمْ ... ولــو عَظَّمُــوه فى النفــوس لَعَظَّما
ولكنْ أذلــوه فهــانَ فدنَّسُــوا ... مُحَيَّــاهُ بالأطمــاعِ حتى تَجَهَّمَا

وأرسل محمد بن سليمان أمير البصرة إلى حماد بن سلمة يطلب منه الحضور إليه لأجل مسألة وقعت له، فأرسل إليه حماد : إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتونَ أحداً ، فإنْ وقعتْ مسألة، فأتنا فاسْأَلْنا عَمَّا بدا لك ، والقصة مشهورة وفيها أنَّ محمد بن سليمان جاء فجلس بين يديه ثم ابتدأ فقال ما لى إذا نظرتُ إليك امتلأتُ رعباً ؟ فقال حماد : سمعت ثابتاً البنانى يقول: سمعت أنس بن مالك يقولُ : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « إنَّ العالم إذا أراد بعلمه وجهَ اللّه هابَهُ كُلُّ شىء، وإذا أراد أن يكنّز به الكنوز هاب منْ كُلِّ شىء»[3] . والقصة طويلة، وفيها: أنه عرض عليه أربعين ألف درهم فلم يقبلها لا لنفسه ولا ليقسمها ويفرقها . وأنشد

---

(١) هو القاضى العلامة أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ، الفقيه الشافعى الشاعر صاحب الديوان المشهور ، قال الثعالبى :هو فرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وتاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، توفى بالرى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . [سير أعلام النبلاء ١٩/١٧ ــ ٢١] .

(٢) سقط من المخطوطة ، وهو فى أ ، ر ، ط .

(٣) الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٨٨/١ ، ١٨٩ بلفظ: « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فهو فى النار »، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار ، وفيه سليمان ابن زياد الواسطى قال الطبرانى والبزار : تفرد به سليمان زاد الطبرانى ولم يتابع عليه ، وقال صاحب الميزان : لا ندرى من ذا » .

بعضهم :

إذا شئْتَ أنْ تستقرضَ المالَ مُنْفقاً ... على شَهَواتِ النَّفسِ فى زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلْ نفسكَ الإنفاقَ من كَنْزِ صَبْرِهَا ... عليك وإرفاقا إلى زمن اليُسْرِ
فإنْ فَعَلَتْ كنتَ الغنىَّ وإنْ أبتْ ... فكل مَنوعٍ بعدها واسعُ العذر

وقال أبو الحارث لأبى عبد اللّه : فترى للرجلِ أنْ يرحلَ لطلب العلم ؟ قال : نعم قد رحل أصحابُ رسول اللّه ﷺ ومَنْ بعدهم . وروى عنه الخلال أنه سئل عن رجلٍ يقيمُ ببلدة وينزل فى الحديث درجة ؟ قال : ليس طَلَبُ العلم هكذا ، لو طلبَ العلم هكذا ماتَ ، إنما يُؤخذُ العلمُ عن الأكابر .

وعن سعيد بن المسيب قال : إنْ كنتُ لأسافر مسيرةَ الليالى والأيام فى الحديث الواحد .

وقال أبو قِلاَبَةَ : لقد أقمت بالمدينة ثلاثة أيام ما لى حاجة إلا رجل يَقْدُمُ ، عنده حديثٌ فأسمعه .

وعن الشعبى قال: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فسمع كلمةً تنفعه فيما يستقبلُ من أمره ما رأيتُ سفره ضاع .

وفى« الصحيحين » من حديث الشعبى: عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، عن النبى ﷺ : «ثلاثةٌ يُؤْتَونَ أجرهم مرتين : عَبْدٌ مملوكٌ أدى حَقَّ اللّه وحَقَّ مواليه ، ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى ،ورجل كانت له أمَةٌ فأدَّبَها فأحسنَ تأديبها ، ثم أعتقها فتزوجها » (١) ، ثم قال الشعبى : خُذْهَا بغيرِ شىءٍ ، فقد كان الرجلُ يرحل فى مثلها إلى المدينة ، يعنى من الكوفة.

وأشار البخارىُّ إلى حديث عبد اللّه بن أُنيس : وأن جابراً رحل إليه شهراً فى حديثٍ واحد(٢) ، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد من رواية عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، عن جابرِ ابن عبد اللّه الأنصارى : أنه ابتاع بعيراً وسار شهراً إلى عبد اللّه بن أُنَيْس ، والحديث عن النبىِّ ﷺ يقول اللّه تعالى يوم القيامة : « أنا اللّه ، أنا الملك ، أنا الدَّيَّان » (٣) ، وذكر الحديث . وقد رحل الشافعى وأحمد وغيرهما من الأئمة قديماً وحديثاً ، تَقَبَّلَ اللّه تعالى منهم .

---

(١) البخارى فى العلم ، ب تعليم الرجل أمته وأهله (٩٧) ، ومسلم فى الإيمان ، ب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة (١٥٤ / ٢٤١) .
(٢) البخارى فى العلم ، ب الخروج فى طلب العلم معلقا (الفتح ١/ ١٧٣) .
(٣) أحمد ٣/ ٤٩٥ والبخارى فى التوحيد معلقاً (الفتح ١٣/ ٤٥٣) .

وعن عمران بن حُصَيْن قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ، وعقلتُ ناقتى بالباب [فتاهت][1]، فأتاه ناسٌ من بنى تميم فقال: « اقبلوا البشرى يابنى تميم » قالوا: بَشَّرْتَنَا فأعْطِنَا ، مرتين ، فتغير وجهه ، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا: قبلنا يا رسولَ اللّه، قالوا: جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر قال: « كان اللّه ولم يكن شىءٌ قَبْلَهُ، وكان عرشُهُ على الماء ، ثم خَلَق السَّماوات والأرضَ وكتب فى الذِّكْرِ كُلَّ شىء » [2] . ثم أتانى رجل فقال : يا عمران ،أدْرِكْ ناقتكَ فقد ذهبت ، فانطلقتُ أطلبها ، فإذا السراب يَتَقَطَّعُ دونَها ، وايْمُ اللّهِ لَوَدِدْتُ أنها قد ذهبت ولم أَقُمْ ! .

قال ابن هُبيرة: فيه الرحلةُ فى طلب العلم ، وجوازُ السؤال عن كلِّ ما لا يعلمه إلا نبى ، وجواز العدول عن سماع العلم إلى ما يُخَافُ فواته ؛ لأنَّ عمرانَ قام عن المجلس لأجل ناقته فلم ينكر عليه ، وجواز إيثار العلم على ذلك لقول عمران : وددتُ أنها ذهبتْ ولم أقُمْ .

وقال مهنا : سألت أحمد عن حديث مُعَان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يحملُ هذا العِلْمَ من كُلِّ خلف عُدولُه ، يَنفون عنه تحريفَ الجاهلين، وإبطال المبطلين، وتأويلَ الغالين »[3] فقلت لأحمد : هو كلام موضوع ؟ قال : لا، هو صحيح ، فقلت له : سمعته أنت ؟ قال : من غيرِ واحد[4] ، قلتُ : مَنْ ؟ قال : حدثنى به مسكين إلا أنه يقول : عن مُعَان عن القاسم بن عبد الرحمن . ثم رواه الخلال من حديث مُعَان، عن إبراهيم ، عن النبى ﷺ . ورواه أبو أحمد بن عدى الحافظ ، عن عبد اللّه البغوى، حدثنا أبو الربيع الزهرانى، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا معان بن رفاعة، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال : قال رسول اللّه ﷺ فذكره [5]، قال البيهقى: وتابعه إسماعيل بن عياش عن معَان، ورواه الوليد بن مسلم عن إبراهيم بن عبد الرحمن، عن الثقة من أشياخهم ، عن النبى ﷺ [6] ، وروى من أوجه أُخَرَ ضعيفة ، قاله البيهقى .

---

(١) ساقطة من المخطوطة،وهى فى أ ، ر ، ط .

(٢) البخارى فى بدء الخلق ، ب ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ (٣١٩١).

(٣) الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٤٥، وقال : « رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشى كذبه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل ونسبه إلى الوضع » عن أبى هريرة ، وابن عمر ، والعقيلى فى الضعفاء (١٨٥٤)، وقال : « ولا يعرف إلا به ، وقد رواه قوم مرفوعاً من جهة لا تثبت » ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٣١ عن جابر بن سمرة .

(٤) كنز العمال (٢٨٩١٨) .

(٥) البيهقى فى الكبرى ، فى الشهادات ، ب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول: كفوا عن حديثه . . . ١٠/ ٢٠٩، وكنز العمال (٢٨٩١٩) ، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق٢/ ٢٣٠

(٦) البيهقى فى الكبرى ، فى الشهادات ، ب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول: كفوا عن حديثه . . . ١٠/ ٢٠٩ ، وابن عدى فى الكامل ١/ ١٥٣ ، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٠ .

واعتنى ابن عبد البر بهذا الحديث ، وحاول تصحيحه واحتج به فى أنَّ كُلَّ مَنْ حمل العلم فهو عدل واللّه أعلم . ومعان بن رفاعة مختلفٌ فيه ، قال أحمد ومحمد بن عوف وأبو داود : لا بأس به ، وقال ابنُ المدينى ودُحَيْم : ثقة ، وقال الفسوى : لين الحديث ، وضعفه ابن معين، وقال الجوزجانى (١) : ليس بحجة ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يُتَابَعُ عليه. وقال ابن حبان : منكر الحديث .

ونقل المروذى ويوسف بن موسى عن أحمد أنه قيل له : رجلٌ أرادَ أنْ يصومَ يوماً تطوعاً فأفطر لطلب العلم ؟ فقال : إذا احتاج إلى طلب العلم ، فهو أحبُّ إلىَّ ، فقيل له : لأنَّ طَلَبَ العلم أفضلُ ؟ فسكت .

وقال المروذى : سمعتُ أبا عبد اللّه يصف كيف يُؤْخَذُ العلم ، قال: نَنْظُرُ ما كانَ عن رسولِ اللّه ﷺ ، فإنْ لم يكن فعن أصحابه ،فإن لم يكن فعن التابعين .

وقال أبو داود : سمعت أبا عبد اللّه يُسْأَلُ إذا جاء الشيءُ عن الرجل من التابعين لا يوجدُ فيه عن النبىِّ ﷺ يَلْزَمُ الرجلَ أنْ يأخذَ به ؟ قال : لا ، ولكنْ لا يكادُ يجيءُ شيء عن التابعين إلا ويوجدُ فيه شيء عن أصحاب رسول اللّه ﷺ .

وقال الفضل بن أحمد : سمعتُ أحمدَ بن حنبل وقد أقبل أصحابُ الحديث بأيديهم المحابر، فأومأ إليها وقال : هذه سُرُجُ الإسلام ، يعنى المحابر .

وقال ابن الجوزى : قال الشافعى : لولا المحابرُ ، لَخَطَبَتِ الزنادقةُ على المنابر .

وروى بإسناده عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل : حدثنى أبى قال :رآنى الشافعى وأنا فى مجلس ، وعلى قميصى حبر وأنا أخفيه ،فقال : لم تخفيه وتستره ؟ فإنَّ الحبر على الثوبِ من المروءة، لأن صورته فى الأبصار سَوادٌ ، وفى البصائر بياض .

قال ابن الجوزى: وينبغى تجويد الخط وتحقيقه دون المشق(٢) التعليق ، ويُكْرَهُ تضييقُ السطور وتدقيقُ القلم ؛ فإن النظر إلى الخط الدقيق يؤذى ، قال حنبل بن إسحاق: رآنى أحمدُ بن حنبل وأنا أكتبُ خطاً دقيقاً فقال : لا تفعل ، أحوج ما تكونُ إليه يَخونُكَ . قال ابن الجوزى : وقد كان بعضهم يضيق السطور لعدم الكاغد(٣)،وقد رأيت فى وجْهة من خط أبى عبد اللّه الصورى أحداً وثمانين سطراً .

---

(١) هو العلامة الإمام أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجانى الحنفى ، حدث عن أبى يوسف ومحمد الحنفيان ، وابن المبارك ، وحدث عنه : القاضى أحمد بن محمد البرتى وبشر بن موسى ، وأبو حاتم الرازى وآخرون ، كان صدوقا محبوباً إلى أهل الحديث ، وكان يكفر القائلين بخلق القرآن ، له تصانيف . [سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٤، ١٩٥] .

(٢) المشق : مشق الخط مده ، وقيل : أسرع فيه . اللسان ، مادة « مشق » .

(٣) الكاغد : القرطاس . القاموس المحيط ، مادة « كغد » .

وقال البغوى عن أحمد : أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر وقال صالح : رأى رجلٌ مع أبى محبرةً ، فقال له : يا أبا عبد اللّه ، أنتَ قد بلغتَ هذا المبلغ وأنتَ إمامُ المسلمين،فقال: معى المحبرة إلى المقبرة . وقال أحمد فى موضع آخر : إظهار المحبرة من الرياء، وذُكِرَ له الصدقُ والإخلاص ، فقال: بهذا ارتفع القوم .

وروى ابن الجوزى بإسناده : عن عبد الرحمن بن مهدى قال : كان الرجل إذا لقى مَنْ هو فوقه فى العلم كان يوم غنيمة ،وإذا لقىَ مَنْ هو مثله دَارَسَهُ وتعلَّمَ منه ، وإذا لقىَ مَنْ دونه تواضع له وعَلَّمهُ . قال ابن عبد البر فى«بهجة المجالس»: وقال الأحنف: مذاكرةُ الرجال تلقيح لعقولها ، ويأتى بنحو كراسة ما يتعلقُ بهذا.

فصل موعظة العلماء المتقين بالشعر

قال أبو يعلى الموصلى:سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: خرجتُ فى وجه الصبح ، فإذا أنا برجلٍ سبل منديله على وجهه فناولنى رقعة ، فلما أضاء الصبحُ قرأتها فإذا فيها مكتوب :

عِشْ موسرا إنْ شئتَ أو معسراً ... لابد فى الدُّنيا من الغَمِّ
وكلَّما زادكَ من نعمة ... زاد الذى زادك فى الهَمِّ
إنى رأيتُ النَّاسَ فى دهرنا ... لايطلبونَ العِلْمَ للعلمِ
إلاَّ مباهاةً لأصحابهمْ ... وعُدةً للخصم والظلمِ

قال : فظننتُ أنَّ محمد بن يحيى الذهلى ناولنى ، فلقيته فقلت له : الرقعة التى ناولتنى فقال : ما رأيتك، ما ناولتك رقعةً ، فعلمتُ أنها عظَةٌ لى ، وقال الحافظ تقى الدين بن الأخضر فيمن روى عن أحمد بن محمد بن مروان [1] قاضى تَكْرِيتَ قال : كتب رجل من إخوان أبى عبد اللّه أحمد بن حنبل إليه أيام المحنة :

هذى الخطوب ستنتهى يا أحمد ... فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
الصبرُ يقطع ما ترى فاصبر لها ... فعسى بها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أحمد :

صبَّرتَنى ووعظتنى فأنا لها ... فستنجلى ، بل لا أقولُ : لَعَلَّها
ويَحلّها مَنْ كان يملكُ عقدها ... ثقة به ؛ إذ كان يملكُ حَلَّها

---

(١) أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب ، أبو العباس . فيلسوف غزير العلم بالتاريخ والسياسة والأدب والفنون ، ولد فى سرخس ــ من نواحى خراسان ــ وقرأ على الكندى الفيلسوف ، واتصل بالخلفاء العباسيين فعلَّم المعتضد بالله ، ثم تولى الحسبة ببغداد فى أيامه ، ونادمه وخص به ، فكان المعتضد يفضى إليه بأسراره ويستشيره فى أمور مملكته ثم قتله، له تصانيف كثيرة . [الأعلام للزركلى ١/ ٢٠٥] .